-جامعة محمد بوضياف – المسيلة
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية

بعنوان

نظرية توازن القوى وفق المنظور الواقعي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي تخصص علاقات دولية

إعداد الطالب: مويسات عبد الرشيد

إشراف: د. شوقي عرجون

لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة	الصفة
	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
	أستاذ محاضر "أ"	مشرفا ومقررا
	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا

السنة الجامعية: 2025/2024

المقدمة

الفصل الأول: تأصيل نظري ومفاهيمي للدراسة

المبحث الأول: الفكر الواقعي في العلاقات الدولية

المطلب الأول الجذور التاريخية للمدرسة الواقعية

المطلب الثاني نشأة الواقعية وتطورها

المطلب الثالث مفاهيم أساسية في التحليل الواقعي للعلاقات الدولية

المبحث الثاني: نظرية توازن القوى

المطلب الأول: مفهوم توازن القوى،

المطلب الثاني أشكال توازن القوى

المطلب الثالث: سياسات تحقيق توازن القوى

المطلب الرابع: نقد نظرية توازن القوى

الفصل الثاني دراسة حالة الولايات المتحدة الأمريكية والصين

المبحث الأول: بين التوازن الكلاسيكي وتوازن التهديد

المطلب الأول: التوازن الكلاسيكي

المطلب الثاني: توازن التهديد

المبحث الثاني: بين توازن المصلحة والتوازن خارج الإقليم

المطلب الأول: توازن المصلحة

المطلب الثاني: التوازن خارج الاقليم

الخاتمة

مقدمة

تُعدّ العلاقات الدولية ميداناً خصباً للتفسيرات والنظريات التي تسعى إلى فهم طبيعة التفاعلات بين الدول والفاعلين الدوليين، لا سيما في ظل غياب سلطة مركزية عليا تحكم النظام الدولي، ما يجعل من القوة أداةً مركزية في ضبط هذه العلاقات، ومن بين المقاربات النظرية التي شكلت نواة هذا الفهم، تبرز المدرسة الواقعية بوصفها الإطار الأهم لفهم التوازنات والصراعات الدولية وتُعد نظرية توازن القوى إحدى أهم أدوات هذه المدرسة، إذ ظلت على مدار قرون تُستخدم لتفسير كيفية سعي الدول للحفاظ على بقائها ومنع هيمنة أي قوة على النظام الدولي ومفتاح فهم الأنماط المتكررة لسلوك الدول داخل النظام الدولي الذي يتسم بالفوضى كما يوصفه الواقعيون وكغيرها من المفاهيم في العلوم السياسية خاصة والعلوم الإنسانية بصفة عامة فان توازن القوى استخدم من طرف الباحثين والدارسين وحمل على اكثر من معنى، أن التغيرات التي شهدها واقع النظام الدولي من جهة والتطورات المعرفية التي، مست جميع الحقول المعرفية ومنها العلوم السياسية شكلت تحديات كبيرة واجهتها نظرية توازن القوى، بالإضافة إلى الانتقادات الموجهة لها من طرف النظريات الأخرى الليبرالية والبنائية ،حتى وصل الأمر بالبعض للتساؤل عن مدى جدوى هذه الاداة خاصة بعد تراجع المعسكر الشيوعي وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى مهيمنة، لذلك حاول المنظرون الواقعيون الاستجابة لهذه المتغيرات وتكييفها – اي نظرية توازن القوى – مع الحفاظ على نواتها الصلبة وافتراضاتها الرئيسية.

أهمية الموضوع

تبرز أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول واحدة من أكثر النظريات تأثيراً واستمرارية في أدبيات العلاقات الدولية، وهي نظرية توازن القوى، التي لا تزال تُستخدم لفهم التحالفات، سباقات التسلح، والتفاعلات بين القوى الكبرى والإقليمية كما تكمن أهمية الدراسة في محاولتها تفكيك الانقسامات النظرية داخل المدرسة الواقعية ذاتها، والوقوف عند الأطر النظرية المختلفة التي حاولت تفسير التوازن بطرق متعددة، من التوازن التقليدي إلى توازن التهديد وتوازن المصلحة، أن المعاني المختلفة التي استخدم فيها مفهوم توازن القوى يشكل لبس كبير للدراسين في حقل العلوم السياسية ومحاولة ضبط هذه المعاني من الضرورات المعرفية .

مبررات اختيار الموضوع

مبررات ذاتية:

اهتمام الباحث الشخصي بتحليل النظريات الكبرى في العلاقات الدولية.

الرغبة في تعميق الفهم حول الكيفية التي تتفاعل بها الدول في ظل غياب سلطة مركزية.

مبررات موضوعية:

تقدم المدرسة الواقعية نفسها كأحد اهم النظريات المفسرة للتفاعلات بين الدول في العلاقات الدولية ويظهر ذاك جليا في استمرار اعتماد الدول على أدوات القوة والتحالفات في سبيل تحقيق أهدافها.

الانقسامات النظرية المتزايدة حول جدوى وفعالية نظرية توازن القوى، ما يستدعي إعادة تقييمها.

إشكالية الدراسة

رغم المكانة المركزية التي تحتلها نظرية توازن القوى داخل الفكر الواقعي، إلا أن تعدد القراءات والانقسامات داخل المدرسة الواقعية حولها، إضافة إلى الانتقادات القادمة من نظريات اخرى، يطرح تساؤلات حول مدى صلاحية النظرية في تفسير العلاقات الدولية المعاصرة

وعليه، تتمثل الإشكالية الرئيسية في:

ماهي مضامين وتفرعات نظرية توازن القوى لتفسير العلاقات الدولية ضمن المدرسة الواقعية؟ وكيف استجابة للتغيرات الهيكيلية و البنيوية داخل النظام الدولي ؟

التساؤلات الفرعية

ما هي الأسس النظرية التي انبثقت عنها نظرية توازن القوى داخل المدرسة الواقعية؟

ما هي أبرز الأدوات والوسائل التي تعتمدها الدول لتحقيق توازن القوى؟

ما هي الاتجاهات الواقعية المختلفة التي قدّمت قراءات متباينة لمفهوم التوازن؟

كيف تترجم آليات التوازن (التحالفات، التسلح) على مستوى الواقع الإقليمي والدولي؟

ما هي أبرز الانتقادات الليبرالية والبنائية التي وُجّهت إلى نظرية توازن القوى؟

كيف يمكن تفسير سلوك كل من الولايات المتحدة الأمريكية والصين ضمن حالة التنافس بينهما؟

فرضيات الدراسة

لا تزال نظرية توازن القوى، رغم التحديات، تحتفظ بقدرتها التفسيرية خاصة في السياقات الأمنية والاستراتيجية.

الانقسامات داخل المدرسة الواقعية تمثل تطوراً نظرياً أكثر من كونها تناقضاً، وتعكس محاولات لفهم السياقات المتغيرة.

الفاعلون الدوليون يعتمدون على أدوات تقليدية (تحالفات، تسلح) لتحقيق التوازن، ولكن بآليات متجددة ومعقدة.

الانتقادات الموجهة للنظرية تساهم في تطويرها لا في تجاوزها بالكامل.

حالة التنافس بين الولايات المتحدة الامريكية والصين تمثل ارضية خصبة لتطبيق نظرية توازن القوى بتفرعاتها.

الإطار النظري للدراسة

يرتكز الإطار النظري للدراسة على مقاربات المدرسة الواقعية، بمختلف تياراتها: الواقعية الكلاسيكية، الواقعية البنيوية، الواقعية الدفاعية، والواقعية الهجومية، مع التركيز على تطور نظرية توازن القوى داخل هذه الاتجاهات كما تتم الإشارة إلى النظريات الاخرى التي عارضت هذا الإطار مثل الليبرالية المؤسسية والبنائية الاجتماعية

مناهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على مناهج متعددة وفق طبيعة الموضوع:

المنهج التاريخي:

لتتبع تطور مفهوم توازن القوى وتحليل اهم الأحداث الكبرى التي ساهمت في ذلك. وكذلك يعمل على اكتشاف الأنماط المتكررة في، سلوك الدول وسياساتها مما يعطينا فهم أعمق للظاهرة (توازن القوى).

يعتبر المنهج التاريخي كمعمل اختبار النظريات فمن خلال دراسة حالات تاريخية أو وثائق تاريخية معينة تكمن الباحثين من اختبار صحة الفرضيات والتوقعات الموضوعة من طرف أصحاب هذه النظريات.

المنهج المقارن:

لمقارنة تيارات الفكر الواقعي ومواقفها المختلفة من النظرية.

تحديد التشابهات والاختلافات: يسمح المنهج المقارن بمقارنة أنظمة توازن القوى في مناطق جغرافية مختلفة (مثلاً: توازن القوى في أوروبا مقابل توازن القوى في شرق آسيا) أو في فترات زمنية متباينة (مثل مقارنة توازن القوى في القرن التاسع عشر مع توازن القوى بعد الحرب الباردة). هذا يساعد على تحديد العوامل المشتركة التي تؤثر على توازن القوى والعوامل الخاصة بكل حالة.

الوصول إلى تعميمات: من خلال مقارنة حالات متعددة، يمكن للباحث استخلاص تعميمات حول الظروف التي تؤدي إلى استقرار أو عدم استقرار توازن القوى، أو العوامل التي تدفع الدول إلى سلوكيات معينة (مثل التحالف أو سباق التسلح).

اختبار الفرضيات والنظريات: يتيح المنهج المقارن اختبار مدى تطبيق نظريات توازن القوى (التي تعد جوهرية في المنظور الواقعي) على حالات مختلفة، مما يعزز فهمنا لنطاق صلاحية هذه النظريات.

تحسين فهم السياسات: يمكن للمقارنة أن تكشف عن السياسات الناجحة أو الفاشلة في الحفاظ على توازن القوى، مما يوفر دروسًا قيمة لصناع القرار.

المنهج الوصفي

لجمع البيانات والخطب والمقولات لمفكرين المدرسة الواقعية. كما يعنى بتصوير الظاهرة كما هي في الواقع وجمع المعلومات عنها بشكل دقيق ومنظم.

تحديد خصائص توازن القوى: يساعد المنهج الوصفي على تحديد ووصف السمات الأساسية لنظام توازن القوى في فترة زمنية معينة أو منطقة جغرافية محددة. يشمل ذلك وصف توزيع القوة بين الدول (أحادية القطبية، ثنائية القطبية، متعددة القطبية)، القدرات العسكرية والاقتصادية للدول الفاعلة، والتحالفات القائمة.

تشخيص الواقع الحالي: يقدم صورة واضحة ومفصلة للوضع الراهن لتوازن القوى. هذا يسمح للباحث بفهم "ما هو كائن" بدقة، وهو أمر حيوي للواقعيين الذين يركزون على القوة كعنصر رئيسي في تحديد سلوك الدول.

جمع البيانات والمعلومات: يعتمد المنهج الوصفي على جمع بيانات دقيقة وكمية (مثل أرقام الإنفاق العسكري، حجم الجيوش، الناتج المحلي الإجمالي) ونوعية (مثل طبيعة العلاقات الدبلوماسية، التصريحات الرسمية) لوصف الظاهرة. هذه البيانات تشكل الأساس لأي تحليل لاحق.

وضع الإطار المفاهيمي: يساهم في تحديد وتوضيح المفاهيم المتعلقة بتوازن القوى، مثل "سباق التسلح"، "التحالفات المضادة"، "الردع"، و"الاستقرار"، وربطها بالواقع العملي للعلاقات الدولية.

أساس للتحليلات المستقبلية: الوصف الدقيق لظاهرة توازن القوى يوفر قاعدة صلبة للتحليلات التفسيرية (لماذا يحدث هذا التوازن؟) والتنبؤية (ماذا سيحدث بناءً على هذا التوازن؟).

الحدود الزمانية للدراسة:

تركز الدراسة على تطور نظرية توازن القوى من بداياتها في الفكر الواقعي الكلاسيكي وحتى التفاعلات الدولية المعاصرة، مع تخصيص اهتمام خاص لفترة الحرب الباردة وما

بعدها. بسبب المتغيرات الكثيرة التي ظهرت في هذه الفترة بالذات واثرت بشكل مباشر على تطور المفاهيم والنظريات في حقل العلاقات الدولية.

كما اعتمدنا الفترة الممتدة من 2017 الى 2024 في دراستنا لحالة التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ومحاولة تطبيق الأطر النظرية الفرعية المنبثقة عن نظرية توازن القوى في محاولة لتحليل سلوك كل دولة.

الحدود المكانية للدراسة

دراسة النظام الدولي بمستوياته المختلفة، مع التركيز على بعض النماذج الإقليمية مثل: القوى الكبرى، آسيا، افريقيا، كمجالات تطبيقية لرصد آليات توازن القوى، مع التركيز على سلوك الولايات المتحدة الامريكية والصين في مناطق التنافس والنفوذ.

أدبيات الدراسة

توازن القوى في الشرق الأوسط في ظل المتغيرات الإقليمية الجديدة 2011-2018.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورا LMD في العلوم السياسية تخصص الدراسات الإقليمية والأمنية.

حيث تناولت الدراسة ماهية توازن القوى والنظريات المفسرة له وعلاقته بالنظرية الواقعية وتطبيقاتها على الشرق الأوسط وتسليط الضوء على الصيغ التوازنية القائمة فيه التي تتميز بالمرونة والتغير المستمر لكن الشرق الأوسط من اكثر الأقاليم التي تتصف بالصراعات والنزاعات وعدم الاستقرار.

نظرية توازن القوى في العلاقات الدولية: قراءة في التفرعات النظرية. مقال للدكتور شوقي عرجون من جامعة المسيلة في مجلة الباحث للدراسات الاكاديمية. العدد 3 سنة2021.

حيث انطلقت الدراسة من اشكالية مركزية **كيف فسرت نظريات توازن القوى في العلاقات الدولية قيام التحالفات ودوافعها لدى لدول؟**

ركز فيها الباحث على أربعة نماذج نظرية لتوازن القوى (التوازن الكلاسيكي ، توازن التهديد ، توازن المصلحة ، التوازن الشامل) ووضح الفروقات بينها وتطبيقاتها العملية داخل النظام الدولي.

الحروب وتوازن القوى الدكتور إبراهيم أبو خزام دراسة شاملة لنظرية تواز ن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام.

وهو دراسة هامة ترجمها الباحث الى كتاب تناول فيه الجانب النظري والمفاهيمي لنظرية توازن القوى وعلاقتها باندلاع الحروب او الجنوح للسلم، لكن الحدود الزمنية للدراسة تنتهي مع نهاية القرن العشرين وبالتحديد سنة 1998، لذلك فهي لا تغطي نسبة كبيرة من التحولات التي شهدها النظام الدولي منذ ذلك الوقت.

الفصل الأول: تأصيل نظري ومفاهيمي للدراسة

المبحث الأول: الفكر الواقعي في العلاقات الدولية

المطلب الأول الجدور التاريخية

أولا: هل يمكن اعتبار الفكر السياسي القديم امتداد للنظريات الحديثة ؟

بداية فانه لا يوجد هناك اجماع كلي بين المفكرين والباحثين المتخصصين في العلاقات الدولية على الربط بين الفكر السياسي والعلاقات الدولية، بمعنى وجود تطور خطي لبعض النظريات الحالية بصفة تراكمية منذ القدم، في حين يرى البعض ان النظريات الحالية لها امتدادات فكرية وفلسفية ترجع للمفكرين الأوائل خاصة اليونانيين منهم وفي مقدمتهم **ثيوسيديس** صاحب كتاب "تاريخ الحروب البيلوبونيزية" الذي يعتبره الواقعيون المؤسس الأول للنظرية.

كما يميل بعض المختصين على قلتهم الى الفصل النسبي بين الفكر السياسي والعلاقات الدولية الحديثة [1]التي ارتبطت بميلاد الدولة القومية بعد معاهدة وسيتفاليا1648 في حين هنالك اعتقاد كبير وميل واسع من طرف العديد من الباحثين الى ان الفكر السياسي الدولي وعملية التنظير للعلاقات الدولية قد ارتبطا بظهور وتطور العلاقات الدولية بحد

[1] محمد احمد علي مفتي، **"العلاقات الدولية في الفكر السياسي الغربي دراسة تحليلية"** (مجلة كلية التجارة للعلوم البحوث العلمية. المجلد 27، العدد الثاني 1990) ص 01.

ذاتها وما شهدته من احداث تاريخية حاسمة مثل صعود وسقوط القوى الكبرى وتغير موازين القوى الدولية. [1]

ثانيا: الواقعية وفلسفة القوة

يجادل الواقعيون ويقدمون نظريتهم على انها الأسبق ظهورا من الناحية التاريخية مقارنة بمنافساتها من النظريات الأخرى. فنجد الفكر الواقعي ضارب في التاريخ مع مفكري العصور القديمة في كل من الصين **(صان تزو)** والهند **(كوتيليا)** وصولا للمفكرين الغربيين **ثيوسيديس ميكيافيلي وتوماس هوبز**. فكل هؤلاء المفكرين يعتقدون ان العناصر المركزية المتحكمة في السياسة الدولية هي القوة والامن.

1- **ثيوسيديس**

كما قلنا سابقة **فثيوسيديس** صاحب كتاب **تاريخ الحروب البيلوبونيزية** يعده الواقعيون المؤسس الأول للنظرية الواقعية، لقد قام بتوثيق احداث الحرب التي جرت بين **اسبرطة واثينا** في الفترة الممتدة بين عامي (431-404 ق.م) واستنتج ان السبب الحقيقي لاندلاع الحرب تمثل في اختلال ميزان القوى بين الدولتين لصالح أثينا، اذ ان نمو قوتها المتزايد ولد خوفا دائما لدى اسبرطة من التعرض لهجوم وغزو محتمل وبالتالي ضرورة تعزيز وتدعيم قوتها لرده وصده.

[1] محمد الطاهر عديلة. **تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية: دراسة في المنطلقات والاسس**،(أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الحاج لخظر –باتنة-قسم العلوم السياسية، 2014-2015، ص 17.

2-نيكولاس ميكيافيلي (1469-1527)

من خلال كتابه " **الأمير**" بداية عصر النهضة، فصل الأخلاق عن السياسة وجعل السياسة رديفا لمفهوم القوة، اعتبره الواقعيون المؤسس الثاني للنظرية الواقعية، اهتم بدراسة كيفية بناء الدولة وأسباب امتدادها وانحسارها وجعل من مفهوم الصراع محورا مركزيا وصفة لصيقة بالسياسة ومن مفهوم القوة محركا له [1]، حيث يرى ميكيافيلي ان نزعة الدولة مشابهة لنزعة الافراد الانانية وحب السيطرة...الخ. وان العلاقات التي تقوم بين الدول هيا مشابهة للعلاقات التي تقوم بين الافراد مما يجعل اتنافس المفضي الى الحرب شيئا ممكنا. لذلك يحق للحاكم بل يجب عليه اللجوء للحرب واستعمال القوة ضد الاخرين لتحقيق أهدافه. حيث يقول "ان الأمير الذي لا يعتمد على قواته الخاصة لا يشعر بالطمأنينة ...وقد اقر الحكماء دائما بانه ليس هناك أضعف من الانسان الذي يعتمد في قوته على قوة الاخرين"[2].

3-توماس هوبز (1588-1679)

صاحب كتاب "**اللفياثان**" سار على نهج ميكيافيلي حينما قال ان "القوة عامل حاسم في السلوك الإنساني فالإنسان يسعى دون هوادة حو امتلاك المزيد من القوة، ولا يتوقف هذا السعي الا عند الموت، والعهود والمواثيق التي لا تضللها السيوف-ليست الا كلمات لا طاقة لها عللا حماية الانسان "[3]. لكن اهم فكرة جاء بها هي مفهوم حالة الطبيعة التي

---

[1]- أنور محمد فرج، **نظرية الواقعية في العلاقات الدولية دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة** ،(السليمانية مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية 2007) ص59.

[2]- أنور محمد فرج ،المرجع نفسه، ص191.

[3]- جيمس دورتي وروبرت بالتسغراف،**النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية** ،ترجمة وليد عبد الحي (بيروت المؤسسة الجامعية للنشر 1985).ص11.

تجعل الأفراد متساوون لا يخضع بعضهم للآخر. ولا يخضعون لأي سلطة حكومية او نظام مدني، وتتسم حياتهم بالانعزال والتوحش والانانية وبالتالي يعيشون في خوف دائم على أمنهم ، وكانه يشير الى مفهوم الفوضى في مجال العلاقات الدولية بتعبير الواقعيين.

حيث نقل **هوبز** هذه الحالة الافتراضية التي تحكم عالم البشر وحاول اسقاطها على العلاقات بين الدول في غياب سلطة عليا فوق سلطات الدول. ونتيجة لذلك فان كل دولة تميل الى التوجس والخوف والحذر والشك في نوايا وسلوكيات الدول الأخرى ويرتفع لديها هاجس الامن ، هذه الفوضى التي تعد السمة الأبرز التي تميز العلاقات بين الدول وبالتالي فان حدوث الحرب يعد امرا محتملا ومبررا.

المطلب الثاني نشأة الواقعية وتطورها

1-الواقعية الكلاسيكية: مورغانثو والطبيعة البشرية

في كتابه الشهير السياسة بين الأمم صرح هانز مورغانثو بانه بصدد بناء نظرية في العلاقات الدولية بشكل صريح، بالاعتماد على سياسة القوة المفسرة بالطبيعة البشرية وينطلق في ذلك من الاعتقاد بان السياسة والمجتمع بشكل عام يحكمان بقوانين وضعية موجودة في الطبيعة الإنسانية المعرفة بغرائز الرغبة في الحياة والتكاثر والهيمنة.[1]

اما منهجيا : فاعتمد عل خيار دراسة الواقع كما هو وليس ما يجب ان يكون عليه

[1] -ملاح السعيد. **محاضرات في النظرية السياسية المعاصرة**. مقدمة لطلبة الماستر 1 علاقات دولية. 2024. جامعة المسيلة.

انطولوجيا : من خلال الملاحظة للصراع كموضوع للعلاقات الدولية ، و الدول كفواعل لهذا الصراع والقوة كوسيلة للصراع والهدف منه هو الحصول على مزيد من القوة. بعبارة استعمل قوتي لأحافظ عليها وزيادتها.[1]وان كل الدول متشابهة في سياستها الخارجية لأنها جميعا تبحث عن القوة. ويوصف مورغانثو طبيعة النظام الدولي بانه نظام متعدد الأقطاب تكون الدول فيه فواعل وحيدة موحدة وعقلانية.

2-الواقعية الجديدة: والتز والفوضى الدولية

بعد الحرب العالمية الثانية وظهور فواعل فوق وطنية وبعد الثورة التي احدثتها السلوكية في مجال العلوم الإنسانية بصفة عامة والعلوم السياسية بصفة خاصة وامام هذه المتغيرات الجديدة على المستوى الانطولوجي و الابستمولوجي المنهجي كان لابد للواقعية كنظرية **(برادايم)** حتى تحافظ على نفسها ان تتكيف معها بتعديل بعض افتراضاتها مع الحفاظ على نواتها الصلبة وافتراضاتها الأساسية ، ويعود الفضل في الانتقال للواقعية الجديدة ل **كينيث والتز** الذي كان يعتقد بان الواقعية الكلاسيكية هي مجرد فكر واقعي لم يرق الى مستوى النظريات. وعلى عكس **مورغانثو** يرى والتز ان نظام القطبية الثانية هو الأكثر استقرار من النظام متعدد الاقطاب لان المنافسة في هذا الأخير تكون اقوى وأكثر تعقيدا ويزداد فيها عدم اليقين والشك بين القوى المتنافسة.

[1]- ملاح السعيد. محاضرات في النظرية السياسية المعاصرة. مقدمة لطلبة الماستر 1 علاقات دولية. 2024. جامعة المسيلة.

كتابته المؤسسة تعود لسنة 1959 حينما كتب كتاب "الرجل، الدولة، الحرب " حيث فسر تزايد الحروب بطبيعة وبنية النظام الدولي ليتجاوز بذلك التفسيرات المعتمدة على الطبيعة البشرية وفي هذا يقول " توجد حروب لأنه لا يوجد ما يمنعها " [1]. لكن التوجه النظري الحقيقي لكينيث والتز بدا سنة 1979 في كتابه نظرية السياسة الدولية. بعد النقد القوي الذي وجهته السلوكية للتقليدية في الحوار النظري الثاني والثالث داخل حقل العلاقات الدولية.

تنطلق رغبة **والتز** في فصل العلاقات الدولية كمجال معرفي متخصص ومستقل عن العلوم الاجتماعية .يعرف والتز النظرية على **انها لوحة مشكلة عقليا لمجال نشاط محدد.** النظرية يجب ان تعزل مجال ملاحظة معين قبل ان تتعاطى معه عقليا. فاذا كان الاقتصاديون يعرفون الأسواق بالشركات فان البنى السياسية الدولية تعرف بالدول. فالدول هي الوحدات التي تحدد شكل التفاعلات داخل المؤسسات الدولية.

ينطلق والتز في تحليله للعلاقات الدولية من المستوى الثالث أي على مستوى النظام الدولي وحسبه فانه محكوم بثلاث مبادئ أساسية:[2]

المبدأ الأول: المبدأ الناظم: فالنظم الداخلية مركزية وتراتبية والنظام السياسي يحتكر الاكراه الشرعي. اما النظم الدولية لا مركزية لا تراتبية فوضوية لذلك تختلف المبادئ الناظمة لكلا النظاميين.

[1] ملاح السعيد ، المرجع السابق .
[2]- ملاح السعيد ، المرجع نفسه.

المبدأ الثاني: التمايز بين النظام السياسي الداخلي والسلوك الخارجي

يرى والتز بانه لا يوجد أي دور للنظام الداخلي للدول على سلوكها الخارجي فالنظام الدولي يدفع الدول الى تبني نفس الأهداف والوظائف وان اختلفت الإمكانيات. ونتيجة الفوضى تصبح جميع الدول تبحث عن الامن " داخل الفوضى يصبح الامن هو الضرورة القصوى" وهنا ما يسمى **بالمأزق الأمني** " **فالبحث عن الامن يولد اللأمن**"[1]. وكل الدول يجب ان تعتمد على نفسها لتحقيق ذلك **(المساعدة الذاتية)** .

المبدأ الثالث: مبدا توزيع القدرات:

الدول تتشابه في الوظائف والاهداف لكنها تختلف في القدرات، والتي تكون محددة لوظائفها –أي القدرات – داخل النظام العالمي. ويظهر هذا المبدأ جليا في قدرة بعض الدول التدخل في كل الشؤون الدولية في حين تكتفي دول أخرى بمحيطها الإقليمي.

3–واقعيات ما بعد والتز

أ– التجاذب النظري بين الدفاعية والهجومية حول مدى توفير الأمن.

على الرغم من أن الواقعيين الجدد يتفقون حول المسلمات الرئيسية التي يقوم عليها النظام الدولي، والتي لخصها **جون ميرشايمر**[2]:

–1لا توجد حكومة عالمية.

–2كل الدول لها استعداد لاستعمال القوة ضد الدول الأخرى.

[1]- ملاح السعيد. محاضرات في النظرية السياسية المعاصرة. مقدمة لطلبة الماستر 1 علاقات دولية. 2024. جامعة المسيلة.

[2]- harisson wagner,op.cit, p13. نقلا عن محمد الطار عديلة ، المرجع السابق ،ص 228.

-3لا يمكن لأي دولة أن تكون متيقنة بأن الدول الأخرى لن تستعمل القوة ضدها.

-4كل الدول تسعى إلى الحفاظ على سلامة إقليمها واستقلالها الداخلي.

-5الدول هي فواعل عقلانية.

وعلى الرغم من أنهم كذلك يتفقون على أن بنية النظام الدولي "الفوضوية" هي التي تؤدي إلى ما يسمى بـ "معضلة أو مأزق الأمن"، إلا أنهم انقسموا بشأن مسألة مدى توفره (أي الأمن) في السياسة الدولية إلى توجهين رئيسيين: الأول؛ سمي بـ "**الواقعية الدفاعية**". والثاني؛ سمي بـ "**الواقعية الهجومية**".

ب- **الواقعية الدفاعية**

يمثلها كل من روبرت جيرفيس (R. Jervis) وجورج كويستر (G. Quester) وستيفن فان إفرا (S.V. Evra) وجاك سنايدر (J. Snyder) وستيفن والت (S. Walt)حسبما يورده محمد أنور فرج .[1]

وحسب ستيفن والت (S. Walt) نفسه، فإن رواد هذا الاتجاه هم كينيث والتز وفان إيفرا (S.V. Evra) وجاك سنايدر (J. Snyder).[2]

يجادل أنصار الواقعية الدفاعية أن الدول -كفواعل عقلانية -ستتبع سياسات دفاعية اتجاه غيرها من الدول، لأن تكاليف الحرب أصبحت مكلفة وتفوق بكثير حجم المنافع المتوقعة من ورائها، كما أن احتمال تغلب الدول على بعضها البعض أصبح ضئيلا (خاصة

[1]- محمد أنور فرج ، مرجع سابق، ص 384.

[2]- محمد الطاهر عديلة ، مرجع سابق ،ص 228.

في ظل التطور الرهيب الذي عرفه مجال الأسلحة والأسلحة النووية)، وبالتالي إمكانية حدوث الحروب تتراجع لصالح زيادة الأمن وتوفره. فالدول تبحث عن الأمن ولكن بتكلفته الأدنى.

أُنتقدت الواقعية الدفاعية من طرف العديد من المفكرين الذين أعابوا عليها جنوحها إلى بعض افتراضات الليبراليين الجدد كالقول بإمكانية توفير الأمن الدولي.

ج- الواقعية الهجومية

مثلها كل من **إريك لابس** (E. Laps) **وجون ميرشايمر** (Mearsheimer) **وراندل شويللر** (R. Schweller) وبيتر ليبرمان (P. Liberman) .

إريك لابس جادل بأن حالة الفوضى الدولية تدفع كل الدول إلى تحقيق الحد الأقصى من القوة. وذلك ببساطة، لأن أي دولة لا تستطيع أن تتأكد من مسألة: في أي وقت قد تظهر القوة التي تطالب بتغيير الوضع الراهن.[1]

جون ميرشايمر يرى أن "مأساة القوى الكبرى هي صراع أبدي من أجل القوة والهيمنة" فكلما كانت الدولة أقوى، كلما تضاءلت احتمالات تعرضها لهجوم دولة أخرى، وعليه فإن الدول تميل إلى اتباع سياسات أمنية تزيد من قدراتها وتضعف من قدرات أعدائها، وهذا ما يجعل من مهمة توفير الأمن صعبة للغاية.

[1]- محمد أنور فرج، مرجع سابق، ص388.

راندل شويللر يحاجج بأن افتراض الواقعية الدفاعية المتعلق بسعي الدول إلى تأمين بقائها فقط هو غير صحيح ويكرس "سياسة الوضع القائم"، ويدلل على ذلك بسلوك كل من ألمانيا في عهد هتلر وفرنسا في عهد نابليون اللتين سعتا إلى تغيير الوضع القائم، بامتلاك المزيد من القوة والنفوذ رغم المخاطر التي كانت محدقة بذلك .[1]

بيتر ليبرمان حاول إبطال فرضية أن "الدول أضحت لا تحارب لأن الغزو أصبح مكلفا" من خلال كتابه "ماذا يجني الغزاة". حيث يورد عددا من الشواهد التاريخية – كالاحتلال النازي لأوروبا الغربية والهيمنة السوفييتية على أوروبا الشرقية – ليؤكد أن فوائد الغزو تفوق تكاليفه.[2]

هؤلاء دافعوا عن فكرة أن الأمن في السياسة الدولية هو سلعة جد ثمينة وجد نادرة، وهذا الوضع فرضته هيكلية النظام الدولي المتسمة بـ "الفوضى"، إذ ينتج عن هذه الأخيرة كما يقول ميرشايمر مكان صغير جدا للثقة بين الدول ،5وبالتالي يقع على عاتق كل دولة حماية أمنها بنفسها، وهذا يستوجب منها يقظة تامة وحرصا دائما على بلوغ مرتبة "المتفوق".

رغم هذا الاختلاف الموجود بين كل من الواقعية الدفاعية والواقعية الهجومية إلا أنهما يتفقان على أن الأمن والقوة "العسكرية" يمثلان جوهر السياسة الدولية، وأن الحروب ممكنة الحدوث دائما ما بقيت بنية النظام الدولي فوضوية.

---

[1]- ستيفن والت ، نقلا عن محمد الطاهر عديلة ، مرجع سابق ، ص229.

[2]- محمد الطاهر عديلة ، المرجع نفسه ، ص 229.

4- **الواقعية الجديدة** "**الاقتصادية**" وإعادة تحديد مفهوم الاستقرار الدولي: من توازن القوى "العسكري" إلى الاستقرار بالهيمنة "الاقتصادية".

يشير وليام فيل (William. Phil) في مقال له عن " العلاقات الأمريكية – السوفييتية: ماذا بعد الحرب الباردة؟" الصادر عن مجلة "شؤون دولية" العام 1989إلى أن هناك تغيرا بنيويا قد حدث في العلاقات الدولية منذ الثمانينات، حيث أن التوزيع الجديد للقوة على المستوى الدولي أصبح يرتكز على "**محددات اقتصادية**" بدل "**العسكرية**" التي كانت سائدة من قبل.

فالنمو الهائل لحجم اقتصاد دول مثل اليابان وألمانيا والصين في ظل تراجع اقتصاد الاتحاد السوفييتي دفع بالرئيس ميخائيل غورباتشوف إلى القول بأن بلاده محاصرة باقتصاديات متطورة وليس بجيوش لا تقهر. [1]ويدل كلامه هذا على إدراكه العميق للدور الكبير الذي أضحى يلعبه الاقتصاد في توازنات "القوة" الدولية.

يعود وليام فيل ليقر بأن لا مشكلة لديه في رؤية تجمع بين الواقعية الجديدة وتيار آخر واقعي يركز على القوة الاقتصادية بدل القوة العسكرية.

وإذا كان من المعروف والمسلم به لدى الواقعيين الجدد أنهم يلتزمون بتعريف للقوة وبتوزيع للقدرات بين الدول يرتكز على الأبعاد المادية العسكرية، ويهملون ما عداها من أبعاد بما فيها الاقتصادية، فكيف يمكن الحديث حينئذ عن واقعية جديدة وبمنطلقات

[1]جوني عاصي، **النظرية والايديولوجية في العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب البارد** ،(مؤسسة الناشر للدعاية والاعلان ،رام الله نوفمبر 2006) ،ص26.

اقتصادية في الوقت نفسه؟ يؤكد أحد رموز هذا الاتجاه النظري وهو روبرت جليبين (Robert Gilpin)[1] أن طبيعة النظام الدولي لم تتغير منذ عهد ثيوسيديس وهي صراع بين قوة مهيمنة وأخرى صاعدة . فالعلاقات الدولية – حسبه – هي صراع متجدد حول الثروة و القوة بين فاعلين مستقلين في حالة من الفوضى .1

يقبل **جليبين** بالفرضيات الأساسية للواقعية الجديدة، ولكنه يعتبر أن التفاعل بين وحدات النظام استطاع أن يسبب تغيرات مهمة في السياسة الدولية، منها أن العامل الاقتصادي أصبح قاعدة التغيرات في توزيع القدرات بين النظام الدولي. فحسبه، هذه التغيرات الدولية لم تغير من الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي، وإنما غيرت في العامل أو البعد المحدد له. أي الانتقال من نظام دولي يرتكز على عنصر ومفهوم القوة "العسكرية" إلى نظام دولي سمته الأساسية هي اقتصادية بامتياز.2

تمثل طموح **جليبين** في دراسة وتحليل التأثير الحاسم للسلطة السياسية والآليات الاقتصادية على استقرار النظام الدولي .عبر طرح نظري تأسيسي لفكرة استقرار النظام الدولي عن طريق قوة مهيمنة اقتصاديا وعسكريا. كما حاول تفسير صعود وهبوط الدول عبر التاريخ.4

تقوم فكرة الاستقرار الهيمنة على طرح مفاده انه وفي ظل فوضوية النظام الدولي يحتاج العالم لقوة مسيطرة واحدة عسكريا واقتصاديا تقوم بوضع وتنفيذ قواعد التجارة بين

[1]- ملاح السعيد ، المرجع السابق .

الدول. ويجب على كل دولة ترغب في ذلك أن تحوز القدرة على الضمان ومتابعة تطبيق قواعد النظام والرغبة في القيام بذلك. [1] فكما يجادل، يحتاج اقتصاد عالمي حر وليبرالي إلى وجود قوة مهيمنة ،1تعمل على إنفاذ قواعده وضمان بقائه واستمراره، فبدون وجود هذه القوة يضعف النظام الاقتصادي "الدولي" ويتراجع إلى حد كبير.

المطلب الثالث مفاهيم أساسية في التحليل الواقعي للعلاقات الدولية

يقدم الواقعيون حزمة من المفاهيم التي تعتبر في الحقيقة أدواتهم الأساسية في فهم وتحليل ظواهر العلاقات الدولية، نذكر منها:

اولا: مفهوم توازن القوى:Balance of powers

والذي يرتبط كلية بالآثار الناجمة عن وجود مبدأ القوة في العلاقات الدولية. فلا يمكن الحديث أبدا عن مفهوم توازن القوى في غياب القوة في حد ذاتها، فالصراع على القوة الذي قد يفضي إلى الحرب هو ما يخلق الحاجة إلى توازن القوى الذي يحافظ على استقرار النظام القائم. وبالتالي، فالتوازن هو ظاهرة طبيعة ملازمة لظاهرة القوة، وليس مسألة اختيار سياسي من طرف حكام الدول كما يرى به **مورغانثو** .[2] وإذا كان التوازن ملازما للقوة فإن الحرب ملازمة كذلك لاختلال التوازن قد تكون الحرب في بعض الحالات أداة لخلق التوازن أو لإعادته، فعندما تميل كفة القوة إلى أحد الأطراف المشكلة للتوازن تصبح إمكانية اندلاع الحرب كبيرة، لأن الطرف الأقوى سيميل إلى استخدام قوته ضد الآخرين حسب قانون القوة

[1] مارتن غريفيثس وتيري اوكلاهان، مرجع سابق . ض 430.

[2]- كريس براون ،**فهم العلاقات الدولية** ،تر(جمة مركز الخليج للأبحاث،الطبعة الأولى، 2004)، ص 124.

الذي قدمه **مورغانثو**، ولتفادي اندلاع الحرب وجبت العودة إلى وضع التوازن أو خلق توازن جديد. وهنا قد تضطر الدول إلى استخدام إحدى أدوات تحقيق التوازن كالتسلح والتعويضات الإقليمية والتدخل ...إلخ، على أن أهمها على الإطلاق يتمثل في "نظام التحالفات" الذي تعمل من خلاله الدول على الوصول إلى وضع التوازن أو المحافظة عليه عندما يكون قائما.[1]

ستيفن والت لَفَت الانتباه إلى الخلل الموجود في مفهوم توازن القوى وحاول تصويبه، حيث يرد في المفهوم الشائع أن الدول تتوازن ضد القوة التي قد تحوزها بعض الدول الأخرى بما يهدد أمنها وبقاءها ومصالحها القومية. بينما في الحقيقة، تتوازن الدول ضد التهديد الذي قد تمثله دول أخرى وليس بالضرورة ضد القوة. [2]حسب براون ما ينقص هو عنصر "الإدراك" وهو من طبيعة غير مادية. فعلى سبيل المثال، ما الذي يدعوا بريطانيا إلى أن تتحالف مع الولايات المتحدة ضد إيران، أو كوريا الشمالية، ...إلخ؟ حتما ليس التوازن ضد القوة، فلو كان كذلك لتوازنات ضد قوة الولايات المتحدة الأمريكية لتوازنت ضد قوة الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانيا: مفهوم الدولاتية: Statism

ويرتبط هذا المفهوم بفكرة أن الدولة ذات السيادة هي التعبير الشرعي والممثل الوحيد للمجتمع السياسي على المستويين الداخلي والخارجي.[3] فعلى المستوى الداخلي؛ تتيح

[1]- د. إسماعيل صبري مقلد، **العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات**، (المكتبة الاكاديمية، القاهرة، 1991). ص270.

[2]- أبو زيد احمد محمد عبد الهادي ،**كيف تتحرك الدول الصغرى:نحونظرية عامة**،(جلة العلوم السياسية،ع 44، 2012) ،ص ص 25-86.

[3] -تيموثي دن. الواقعية. في دون بيليس وستيف سميث. محرران. مرجع سابق ض 249

السيادة للدولة احتكار جميع أدوات الإكراه والعنف، كما أن سلطتها نافذة على إقليمها وشعبها دونما أن يشاركها في ذلك أي طرف سواء من الداخل أو من الخارج، ففي الدولة الواحدة هناك سلطة واحدة معترف بها وتملك حقا حصريا في تسيير شؤونها. أما على المستوى الخارجي؛ فتتيح السيادة للدولة حق الاعتراف بها ومساواتها القانونية مع غيرها من الدول، وعدم الاعتداء عليها، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية بأي شكل من الأشكال، ...إلخ.

وبالنسبة للمنظرين الواقعيين، فهذا يعني أن الدولة هي الفاعل الأساسي في العلاقات الدولية، أما الفواعل الأخرى التي أنتجها التفاعل بين الدول كالمنظمات الحكومية وغير الحكومية فهي تأتي في مرتبة ثانوية من حيث الأهمية والتأثير. وعليه، فأي تحليل وتفسير للسياسة الدولية يجب أن ينطلق من هذه المسلمات.[1]

ثالثا: مفهوم الفوضى Anarchy

يعود أصل الكلمة إلى المصطلح اليوناني " **أنارخوس**" ، Anarkos والذي يعني حرفيا "من دون حكومة أو حاكم"[2] .وفي الحقيقة يرتبط هذا المفهوم ارتباطا مباشرا بمفهوم السيادة، بل هو أحد نتائجها الأكثر أهمية على المستوى الدولي. إذ تعني السيادة الخارجية للدول عدم خضوعها لأي سلطة فوقها مهما كانت، ولما كانت الدول جميعها متماثلة السيادة

[1]- محمد الطاهر عديلة،مرجع سابق صفحة 211.

[2]- مارتن غريفيث وتيري اوكلاهان، مرجع سابق ص 324.

من الناحية القانونية، فهذا يعني أن النظام الدولي تحكمه "الفوضى" بتعبير الواقعيين، والتي تعني غياب أي سلطة عليا فوق سلطات الدول.

ينسب استخدام هذا المصطلح في وصف العلاقات الدولية للفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز، الذي رأى أن الإنسان استطاع أن يخرج من "حالة الطبيعة" بالدخول في عقد اجتماعي أتاح له العيش في كنف الدولة التي أَمكنت له بقاءه وصانت حريته، بينما لم تستطع الدول الخروج من "حالة الطبيعة" هذه وظلت خاضعة لمبدأ الفوضى.[1]

ويتفق الواقعيون الجدد منهم على أن فوضوية النظام الدولي هي حالة مستديمة لا يمكن التخلص منها بسبب عنصر السيادة، إذ لا ينتظر أن تتنازل الدول عن سيادتها أو عن جزء منها بأي حال من الأحوال، وعليه فإن بنية النظام الفوضوية هي التي تتحكم في سلوك الدول، حيث تزداد عدوانية الدول ويزداد معها الشك وعدم التيقن من نوايا وسلوكيات الدول الأخرى، وتصبح الحرب نتيجة لذلك ممكنة الحدوث في أي لحظة، وعليه يصبح الأمن والبقاء هاجس الدول وهدفها الأول، كما أنها تعتمد على نفسها في تحقيقه.

رابعا: مفهوم البقاء Survival

في ظل البيئة الفوضوية للنظام الدولي تزداد المخاطر التي تتهدد الدول، ويصبح أمنها معرض بشكل كبير ، وعليه تسعى الدول إلى استخدام كل وسائلها المتاحة وعلى

[1] -محمد الطاهر عديلة، مرجع سابق ، ص211.

رأسها القوة العسكرية من أجل ضمان أمنها المتمثل في "البقاء" فكما يقول والتز "بعد دافع البقاء، قد تكون أهداف الدول متنوعة بأشكال لا نهاية لها" . [1]

ومثله يذهب **هنري كيسنجر** إلى أن "بقاء الدولة هو مسؤوليتها الأولى والقصوى، ولا يمكن المساومة عليه أو تعرضه للخطر".[2] وهناك بعض المفاهيم التي يستخدمها الواقعيون والقريبة من مفهوم البقاء لكنها لا تساويه، فمفهوم "المصلحة الوطنية" الذي استخدمه العديد من الواقعيين خاصة الكلاسيكيين منهم، وعلى الرغم من أنه مصطلح فضفاض ولا يمكن ضبطه، إلا أنه دائما ما رِبط بفكرة القوة والبقاء، فالمصلحة الأولى للدول تتمثل في استمرار وجودها وبقائها ولا يتأتى لها ذلك إلا بامتلاكها للقوة التي تمكنها من ذلك. وربط مفهوم المصلحة الوطنية عند الواقعيين الجدد بمفهوم الأمن الذي هو أشمل من مفهومي القوة والبقاء، فالأمن لا يتوقف عند حدود البقاء، ولكن يتضمن كذلك الرفاه الاقتصادي والاجتماعي للدول.

خامسا: مفهوم المساعدة الذاتية Self-Help

حينما لا يمكن للدولة أن تعتمد على سلطة فوقها أو على دولة أخرى لضمان بقائها ضد التهديدات التي تأتيها من خارجها فإنها تضطر إلى الاعتماد على نفسها، ففي ظل البيئة الدولية الفوضوية يغيب وجود الحكومة العالمية التي تتكفل بضبط وإدارة شؤون العلاقات بين الدول، ومعه تقل فعالية أدوات الضبط الأخرى المتمثلة في المنظمات الدولية

[1] تيموني دان، **الواقعية** ، مرجع سابق ص242.
[2]- تيموني دن ، نفس المرجع ،ص 244.

كالأمم المتحدة، والمحاكم الدولية، ...إلخ، وتحت وطأة التهديدات التي تفرضها مثل هذه البيئة الفوضوية فإن الدول تجدها أنفسها مجبرة على الاعتماد على قدراتها الذاتية لتحقيق وضمان أمنها وبقائها.

يقتضي هذا المبدأ لجوء كل دولة إلى زيادة مخزونها من القوة مقارنة الآخرين عند الاقتضاء، وفي ظل حالات الشك والخوف التي تطبع العلاقات بين الدول، فإن الدول تدخل فيما بينها في سباق للتسلح، وهذا يخلق ما يسمى عند الواقعيين بـ "**المعضلة الأمنية**" **Security Dilemma.**

هذه المفاهيم وغيرها مما لم يرد ذكره هنا تمثل أدوات الفهم والتحليل الأساسية لدى الواقعيين، وهي بمثابة مفاتيح لفهم افتراضاتهم ونظرياتهم عن السياسة الدولية.

المبحث الثاني نظرية توازن القوى

المطلب الأول: مفهوم توازن القوى

أولا: معنى التوازن بشكل عام

بمفهومه العام هو الحالة المستقرة، فيتحدث الناس دون ما تفكير عن التوازن كرمز للحالة المعتادة المستقرة وهذه الحالة ليست بالضرورة مثاليه دائما، ولكنها توحي بالاستقرار وعدم التوتر[1]، ولكنهم في كثير من الاحيان وعند تدقيق معانيهم يشيرون الى ما هو ابعد من الاستقرار المعتاد، اي الى الحالة المثالية، فحين نصف الرجل العاقل او السياسي الحكيم بانه ذو شخصيه متزنة فإننا نعني الشخصية الخالية من كل مظاهر التطرف.

وتستخدم جميع العلوم مصطلح التوازن رمز للحالة المعتادة المستقرة ، فيستعمل علم النفس مصطلح التوازن النفسي للتعبير عن الحالة العادية للإنسان العادي، ويستخدم علم الاجتماع مصطلح التوازن الاجتماعي لوصف المجتمع الخالي من التوترات، ويكثر علم الاقتصاد من استخدام التوازن لوصف الاوضاع المقبولة فيقول: التوازن بين العرض والطلب والتوازن في التنمية والتوازن بين الصادرات والواردات والتوازن التجاري والتوازن بين التكلفة والسعر ،ويستخدم علم السياسة ايضا مصطلح التوازن للإشارة الى الحالة المستقرة على اسس عقلانية فيقول: النظام قائم على توازن السلطات كإشارة الى نظام لا يخضع لهيمنه سلطه واحده، كما يستخدم مصطلح قوى سياسيه متوازنة للتدليل على استقرار النظام

[1]- د . إبراهيم أبو خزام ،**الحروب وتوازن القوى ،دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام**،(الاهلية للنشر والتوزيع،عمان ،الطبعة الأولى ،1999)، ص46.

السياسي ،كما يستخدم المصطلح توازن القوى الدولية لوصف المجتمع الدولي المبتسم بالاستقرار.

ان التوازن إذا في المعنى العام يشير الى الحالة المستقرة التي لا تسيطر عليها قوه التطرف، انه يشير على الاجمال الى حاله من حالات الاعتدال النسبي وهي الحالة المقبولة في حياه الافراد والمؤسسات والجماعات والدول، ان توازن هو الحالة المثالية بين وضعين متناقضين.

ثانيا: معنى التوازن في الفكر العربي

ليس هناك تعريف محدد في الفكر العربي لمعنى توازن القوى ، فاغلب الكتاب العرب يصفون نظام توازن القوه وصفا مجردا ويتناولون باقتضاب اشكاله الرئيسية دون تحديد ما هي، حيث يصفه بعضهم بانه **نظام** وبعضهم الاخر بانه **سياسه** مما يوحي بان توازن القوى هو ترتيب مقصود في السياسة الدولية.

ان احد اشهر الذين كتبوا فيه هو **الدكتور اسماعيل صبري مقلد** بكتابه المعروف "**العلاقات السياسية الدولية**" وعلى الرغم من القيمة العلمية لكتابه الا انه لا يقدم اجابات متكاملة حول مساله توازن القوى ،فيقول :"الفكرة الكامنة وراء نظام توازن القوى في العلاقات الدولية وهي ان الطابع المميز لها هو الصراع وهذا الصراع لا تمليه عوامل الاختلاف في المصالح القومية للدول فحسب وانما ينبع في الجانب الاكبر منه من محاوله كل دوله زياده قوتها القومية على حساب غيرها من الدول، ويترتب على ذلك انه اذا امكن لدوله واحده ان

تحصل على تفوق ضخم وساحق في قواها فان هذا سيدفع بها الى تهديد حريه الدول الاخرى واستقلالها وهذا هو التحدي الذي يدفع الدول المحدودة القوه الى مواجهه القوه بالقوة عن طريق التجمع في محاور او ائتلافات قوى مضادة او بعباره اخرى فان محاور القوه المضادة المتعادلة او شبه المتعادلة لا تمكن دوله او مجموعه من الدول الاعتداء على غيرها تحت وهم الاعتقاد بانها تتمتع بالتفوق الذي يتيح لها مثل هذه السيطرة، ومن هنا يحقق توازن القوى بمفهومه هذا اثرين هامين يتعلق اولهما بحفظ السلم الدولي، بينما يتعلق ثانيهما بحمايه استقلال الدول الاعضاء في هذا المحور والتكتلات[1].

كما عرفه بعضهم على ان توازن القوى هو حاله تعادل وتكافؤ جميع القوى المضادة المؤثرة على جسم ما والتي يسعى هذا الجسم الى تحقيقها بقوته الذاتية سواء اثناء الثبات ام الحركة وقدرته على العودة الى هذه الحالة تعادليه عندما تتغير احدى هذه القوى المؤثرة عليه سلبا او ايجابا لتحقيق حاله استقراره.

في حين عرفه بعضهم على ان ميزان القوى هو تعبير عن اي صوره من صور توزيع القوة في المجال الدولي وعرفه اخر تعبير عن وضع من اوضاع التعادل او التكافؤ في القوة .

[1]- صبري احمد مقلد ،مرجع سايق،ص ص 265-266.

ثالثا: المدلول العلمي لتوازن القوى

وهو ما يطلق عليه المدلول الموضوعي ايضا وبمعنى توازن القوى بهذا المعنى الحالة التي يتسم بها توزيع القوه بين عدد من الدول بشكل متعادل نسبيا حيث لا تكون لأي دوله القدرة على فرض هيمنتها على ما عداها من الدول، فوفق المعنى العلمي فان توازن القوى يتم بشكل تلقائي وبصوره عفويه دون ان تسعى الدول الى تحقيقه بصوره ارادیه فهو توازن يتحقق نتيجة للصراع الدولي ومن اشهر انصار هذا التعريف **هانز مورغانثو** و ابو القانون الدولي **فاتيل**.[1]

رابعا: المدلول النمطي لميزان القوى

ويذهب المعنى النمطي الى تعريف ميزان القوى كسياسات يتم تحقيقها ببرامج عمل ارادیه تطبقها الدول في المجال الخارجي تحقيقا لهدف معين، فهو على العكس من المعنى العلمي ليس حاله تلقائيه **(التوازن المقصود)**، اي ان الدول الاطراف تسعى مجتمعه الى ايجاد توازن فيما بينها يضمن الاستقرار الدولي.

خامسا: المعنى الايديولوجي لميزان القوى

ويذهب المعنى الايديولوجي الى وصف السياسات التبريرية والدعائية لدوله ما، فعندما يكون الميزان في صالحها فإنها تدعي وجود توازن للقوى لتبرير المحافظة عليه، وعندما يكون الامر عكس ذلك فإنها تحاول تبرير سياساتها الهادفة الى تعديل الوضع القائم بالادعاء

[1]- د . إبراهيم أبو خزام، مرجع سابق،ص60.

باختلال توازن القوى ووجوب تعديله، فتتخذ الدول في هذه الحالة ميزان القوى سند للدفاع عن صوره معينه لتوزيع القوة في المجال الدولي او التنكر لها على مقتضى مصالحها الوطنية.

غير ان الواقع الاكاديمي هو غير ذلك فكثيرا ما يتغلب السياسيون على الاكاديميين ويفرضون عليهم اصطلاحاتهم ومفاهيمهم وهذا ما اشرا اليه ميشال فوكو وهو من رواد المدرسة النقدية حين وضح بانه هناك علاقة بين السلطة والمعرفة وتأثيرهما المتبادل على بعض فهو يرى ان السلطة تصنع المعرفة والمعرفة تعزز السلطة ، وجاء بمفهوم السلطة الحيوية وهي السلطة التي تمارس التحكم في حياة الافراد من خلال المعرفة العلمية والطبية، وعلى سبيل المثال **فان موسوعة السياسة** تعرف توازن القوى بانه نظام العلاقات الدولية المبني على اساس فرضيه ان حفظ السلام الدولي شريطة عدم رجحان كف دوله او تحالف دولي على كفه الدول او التحالفات الاخرى المقابلة لان ذلك يغري بالهيمنة والعدوان ، وبالتالي فان التوازن في القوى يضمن عدم الاخلال بالوضع الراهن وتوزيع النفوذ بالتراضي بين الدول المعينة، ومن هنا يفترض هذا النظام ان تساند القوى الدولية اية دوله تتعرض للعدوان من دوله اخرى ضمن هذا النظام.

المطلب الثاني: السياسات التي تحقق توازن القوى

أولا: سياسة المؤتمرات

عقد سلسله من المؤتمرات بين ممثلي الدول المختلفة المنازعات والاتفاق على مجموعه مبادئ وصور جديده لتوزيع القوة وذلك في إطار الشرعية الدولية الادوات الدبلوماسية.

ثانيا: سياسة فرق تسد

وهي أشهر الطرق التقليدية في الحفاظ على توازن القوى واقلها أخلاقية ومن المرجح ان مختبرها الأساسي هو الصراعات الداخلية على السلطة ونقلت فيما بعد الى المستوى الدولي، على الرغم من انها ليست أخلاقية لأنها ظاهره طبيعية الدولية وقد عبر عنها ميكيافيلي في كتاباته لا سيما كتاب الامير وقد لجات اليها الدول محاوله منها للإبقاء على ضعف المنافسين صفوفهم الحفاظ على التمزق القائم بينهم.[1]

وتقتضي سياسة فرق تسد زرع الشقاق بين أطراف توازن القوى لمنعهم من التكتل وذلك عن طريق المؤامرات والدسائس، وهي طريقه تمارسها غالبا الدول الراغبة في الحفاظ على الوضع القائم، نظرا لان هذا الوضع يعمل لصالحها فستحاول منعه منافسها من التحالف ضدها،[2] فقد مارستها فرنسا ضد دول اوروبا الوسطى، ولما كان اي نهوض الماني يشكل خطرا عليها ويحد من دورها، فقد دابا على زرع الشقاق بين هذه الدول لمنعها من الوحدة

[1]- هانز مورغانثو، **السياسة بين الأمم الصراع من اجل السلطان والسلام** ،ترجمة خيري حماد ،سلسلة كتب سياسية، الجزء الأول ، ص 253.
[2]- د . إبراهيم أبو خزام، مرجع سابق،ص158.

والتكثر[1]، اما بريطانيا فإنها الاشهر في استخدام هذه السياسة سواء على الصعيد الدولي او الصعيد الاقليمي،[2] وقد مارست هذه السياسة في الوطن العربي خلال القرن 20 وما زالت تمارسها، وقد مارستها النمسا والمانيا ضد القوى الأوروبية الاخرى، وكذلك الاتحاد السوفيتي الذي مارسها ضد دول اوروبا الغربية خلال الحرب الباردة لمنع توحدها ضده، وتمارس الولايات المتحدة اليوم هذه السياسة على نطاق واسع حتى مع شركائها الاوروبيين ومع النمور الأسيوية، فمن الثابت انها ساعه لعرقله البناء الاوروبي الموحد طوال العقود الثلاثة الماضية، مستغله في ذلك الدور البريطاني الموالي لها فهي تستخدمها لعرقله الاتحاد الاوروبي. تعمل الدول على اضعاف الدول المعادية من خلال اشاعه الفرقة بينها وبين اعدائها ومحاوله تفتيت القوة الكبرى او عرقله قيامها، وهذه السياسة استعملتها القوى الاستعمارية في القرن الماضي وخاصه بريطانيا (**سياسة تفتيت القوة**).

ثالثا: سياسة التحالف (الاحلاف العسكرية)

وتعني تجميع دولتين او أكثر لمواجهه قوه اخرى بمعنى الاتفاق بين دولتين او أكثر على تدابير معينه للحماية من قوه اخرى تهدد امن هذه الدول، مثال ذلك الحلف الاطلسي لمواجهه الاتحاد السوفياتي سابق.

يعرف **هوليستي** الاحلاف بانها اتفاق رسمي بين دولتين او أكثر للتعاون في قضايا تخص الامن القومي. وتعتبر الاحلاف من اهم النشاطات في السياسة الدولية لأنها اداه

[1]- صبري مقلد، مرجع سابق، ص267.

[2]- صبري مقلد ، مرجع سابق ، ص 267.

فعاله لتحقيق الاهداف السياسية، والمتمثلة في تقويه مواقع الاطراف المتحالفة في مواجهه أطراف أخرى.

وبالرغم من وجود اختلاف في وجهات نظر المحللين والدارسين لطبيعة الاحلاف العسكرية فينظر اليها البعض على انها شكل من اشكال المنظمات الدولية، في حين يعتبرها اخرون انها عمليه سياسية متواصلة، والراي الثالث ينظر اليها على انها وسيله من وسائل الحفاظ على توازن القوى، والواقع ان الاحلاف العسكرية يمكن ان تحوي كل ذلك. [1]

سياسة الاحلاف وثيقة الصلة بنظام توازن القوى القائم على فكره الصراع الذي يعتبر السمة البارزة في العلاقات الدولية، فالدول تحاول جاهدة وبجميع الاساليب التي تخولها الفوز في هذا الصراع. ومما لا شك فيه ومهما بلغت قوه الدولة فإنها غير قادره على خوض الصراع الى نهايته صوره فرديه. لذلك من الافضل لديها البحث عن أطراف اخرى تشارك تشاركها الهموم نفسها والتحالف معها ضد أطراف اخرى تهدد مصالحها او امنها القومي.

ان ظاهره التحالف ظاهره طبيعية في الحياة بشكل عام وفي السياسة الدولية بشكل خاص، ولعل أفضل تعبير لهذه الظاهرة هو تعبير **ميشيل دونالد** "**عندما كان ثمة شخص واحد في العالم عرف السلام وعندما كان ثمة شخصان عرف الصراع وعندما كان ثمة ثلاثة اشخاص عرفت التحالفات**".[2]

[1]- د . إبراهيم أبو خزام، مرجع سابق،ص161.

[2]- د إبراهيم أبو خزام ، نفس المرجع، نفس الصفحة.

للإشارة فان فكره الحلف تختلط مع غيرها من الافكار الأخرى ، فقد توصف كل السياسات التعاونية بين الدول بانها شكل من اشكال التحالف ، وذلك يعتمد على نظره المفكر نفسه الذي قد يتبنى معيارا واسعا او ضيقا، فاذا استخدم المعيار الواسع فان معظم صور التعاون يمكن ان تندرج تحت مصطلح التحالف، اما المعيار الضيق وهو المعيار الادق فانه يحصر التحالف في تلك الاتفاقيات الرسمية ذات الطابع العسكري والامني فالتحالف بهذا المعنى عباره عن اتفاق رسمي بين دول ده طابع عسكري تتعهد فيه الدول المتحالفة باتخاذ تدابير مشتركه لحمايه امنها القومي.

كما ينبغي التمييز بين الحلف لهذا المعنى والاتفاقيات المتعلقة بالحماية والتي تنشا بين أطراف ليست بينها اي نسبه من التكافؤ.

ومهما كان شكل توازن القوى سواء كان ثنائيا او متعددا او حتى في وضع الهيمنة فان الاحلاف هي الأداة الرئيسية لحركه الميزان بين من يرغب في الحفاظ على الوضع القائم او الذي يرغب في تعديله.

رابعا: سياسة حامل الميزان

ويقصد بها القاء ثقل الدولة الى جانب دوله معرضه للتهديد وهذه الدولة تعد حامله للميزان ويشترط في هذه الدولة ان تكون في موقع قوه في المجتمع الدولي، فالنظام –أي توازن القوى– قد يتألف من كفتين يضاف اليهما عنصر ثالث وهو حامل الميزان ،ولا يكون هذا الأخير تابعا او مرتبطا بسياسات دولة محددة ،ولكنه يلقي بثقله حينا مع الكفة الأولى

وحينا مع الكفة الثانية بما يتماشى مع مصالحه ،فقد يكون صديقا حينا وعدوا أحيانا أخرى،[1] وهذا ما حدث بالنسبة لعلاقه دول الخليج مع الولايات المتحدة من اجل توازن قواتها مع إيران والعراق.

خامسا: سياسة التعويضات

وتتم هذه السياسة بعد انتهاء الحروب، ويتم فيها ضم او تقسيم اقاليم محدده بين الدول المتصارعة بهدف تعويض الدولة المقتطع منها من قبل، كما ان اقتسام مناطق النفوذ للقوه الكبرى يعتبر جزء من هذه السياسة، واعتمدت هذه السياسة خاصه بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي السابق.

يقصد بالتعويضات احداث اجراءات اقليميه للتأثير في توازن القوى وذلك بالحاق اراضي او اقاليم لهذه الدولة او تلك، وهي اجراءات تهدف الى زيادة قوه دولة ما او اضعافها بما يتناسب مع ميزان القوى، وكانت هذه السياسة مألوفة في القرن 18 للحفاظ على توازن القوى عندما يضطرب بفعل توسع اقليمي لدوله ما. وتعتبر **معاهده اوتريخت** التي عقبت حروب الوراثة الإسبانية عام 1713 ميلادي النموذج التاريخي المثالي لتطبيق سياسة التعويضات، حيث قسمت اسبانيا بين النمسا وفرنسا للحفاظ على توازن القوى بين الدولتين.[2] كما ان تقسيم بولندا ثلاث مرات اعوام 1773 و1793 و1795 بين النمسا وبروسيا عباره عن ترسيخ لهذه السياسة. وفي اتفاقيه **فيينا** عام 1815 حيث تم تقليص النفوذ الفرنسي

[1]- هانز مورغانثو، مرجع سابق، ص261.

[2]- هانز مورغانثو، نفس المرجع، ص254.

ومنح تعويضات للدول الأوروبية لا سيما النمسا، في محاوله لإضعاف فرنسا بعد هزيمتها والحفاظ على توازن قوى صالح دول اوروبا.

كما استخدمت هذه السياسة في اواخر القرن 19 وكانت ساحته الفعلية المستعمرات الأوروبية خارج القارة الاوربية، ولا سيما في افريقيا وجرى معظمه على حساب الإمبراطورية العثمانية. وكانت هذه السياسة تأخذ شكل تقسيم اقليمي على حساب مساحة الاراضي. لكن تم ادخال عناصر مهمه اخرى كالثروات الكامنة في الارض ونوعيه السكان وقاد ذلك الى استحداث اليه ل تنفيذ سياسة التعويضات وتشكيل لجان مختصة قادره على تنفيذ هذه السياسة.

ويذهب معظم الكتاب الى ان سياسة التعويضات كانت من سمات القرنين 18و19. وجرى تطبيق هذه السياسة عقاب الحرب العالمية الاولى في اوروبا واخضعت لها ممتلكات امبراطوريه العثمانية والإمبراطورية النمساوية. وبعد الحرب العالمية الثانية بالحاق **الالزاس واللورين** بفرنسا وكذلك في دول البلقان. بل ان حركه الاستقلال في العالم الثالث كانت جزء من سياسة تعويضات، فقد كانت احدى اهداف الدول الكبرى من ورائها تقليص ممتلكات القوى الكبرى التقليدية فرنسا وبريطانيا. وبعد نهاية الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفياتي واعلان استقلال دوله هو بمثابة التعويض للعالم الغربي لأنه يكرس توازن قوى يميل لمصلحته، ان هذه الترتيبات اجراءات اقليميه تهدف الى اضعاف الدور الروسي وتعزيز التفوق الامريكي في اي توازن قد ينشا فيما بعد.

ان سياسة التعويضات كانت دائما الخاتمة لكل الحروب حيث يدفع الطرف المهزوم حسابات الحرب بينما يضيف المنتصر المزيد من المكاسب الى رصيده.

سادسا: سياسة التسلح

تعتبر من اهم السياسات للحفاظ على توازن القوى ومحاوله تعديله. الدول تسعى الى التسلح وتتسابق عليه لأنه مهما كانت قيمه العوامل الاخرى فان الامن القومي يرتبط بمدى القوة العسكرية والواقع ان السياسات الاخرى للحفاظ على توازن القوى تظل ثانويه مقارنه بسياسه تسلح. سواء على الصعيد الاقليمي او العالمي.

فلكي تعطي الدول دبلوماسيتها قوه حقيقيه فإنها كثيرا ما تضع في ذهن اعدائها مقدار قوتها العسكرية. وذلك ما ذهبت اليه الولايات المتحدة الأمريكية نهاية الحرب العالمية الثانية بإطلاق قنابلها النووية على اليابان. كما يمارسه الكيان الصهيوني ضد العرب. وحرصت الهند على ابراز حصولها على قنبلتها النووية سنه 1998 وذلك لمنح سياساتها الخارجية القوة اللازمة في مواجهه جيرانها والقوه الكبرى الأخرى، وذلك ما جعل الباكستان ترد بالمثل والقيام بتفجيراتها النووية بشكل سريع للإعلان عن قوتها الرادعة.

وقد تأخذ هذه السياسة منحا عكسي اي عن طريق الحد من التسلح ونزع الأسلحة خاصه بين القوى الكبرى ويمكن اعتبار اتفاقيات سالت1 وسالت 2 شكلا من اشكال محاولات الحفاظ على توازن القوى بين الولايات المتحدة وروسيا. وقد مورست هذه السياسة ضد المانيا واليابان عقبه انتهاء الحرب العالمية الثانية فقيد الانفاق العسكري في هذان

البلدين وحدد حجم قوتيهما العسكريتين ونوعيهما. وموورست هذه السياسة خلال الحرب الباردة وفرضت الدول الكبرى مبدا منع انتشار الأسلحة النووية ومع ان الهدف اخلاقي في مظهره الا انه غير ذلك في مضمونه، فهو مبدا يهدف الى احتفاظ الدول الاقطاب بتفوقها ومنع الاخرين من مزايا الحصول على هذا السلاح، مختلف الضغوط اليوم لنزع اسلحه الدمار الشامل فوضعت الاتفاقيات واكرهت الدول الصغيرة على توقيعها واجبرت الدول الكبرى اتخاذ اجراءات صارمه لمنع تصدير التكنولوجيا العسكرية الى خارج العالم الغربي.

واصبحت على الاجمال سياسة نزع الأسلحة لها الأولوية في السياسة الخارجية الأمريكية. وعلى الرغم من ذلك فان بعض الدول استطاعت الافلات والوصول الى انجازات مهمه اما نتيجة غض الطرف عنها لأسباب سياسية، او بسبب ضغوط وطنيه تمارس على الدول الكبرى نفسها بالتغاضي عن حالات معينه، او بسبب التطورات التقنية التي حققتها بعض البلدان اعتمادا على ذاتها.

بتطبيق سياسة التسلح فان الدولة تتدخل في سباق التسلح تهدف لإحداث تفوق على بعض الدول وخير مثال على ذلك سبا التسلح خلال الحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي سابقا والولايات المتحدة الامريكية، وقد تلجا الدول الى نزع السلاح للحفاظ على توازن القوى وانشاء مناطق عازلة منزوعة السلاح، ويوجد اسلوب اخر باتباع اسلوب الرقابة على التسلح من خلال تنظيم التسلح ووضع قيود على بعض الانواع من الأسلحة، مثال ذلك المانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية.

سابعا: سياسة المناطق الفاصلة (العازلة)

ويقصد بها ايجاد كيانات ضعيفة ومحايده بين الدول القوية، ويهدف الى تقليل احتمالات الصدام المباشر، وتستمد الدولة الفاصلة ذات الكيان الضعيف قدرتها على الاستقلال والحماية بسبب إدراك الدول القوية ان ايه محاوله للسيطرة عليها يغير ميزان القوى، الامر الذي لن تقبله الدول القوية الأخرى، مثال ذلك في اوروبا سويسرا كدوله بين قوى أوروبية ايطاليا المانيا فرنسا.

فقبل ظهور التطور التقني كانت فكره ايجاد مناطق عازله من اهم السياسات في الحفاظ على توازن قوى الدول الكبرى. حيث يتم وضع دوله محايده بين القوتين الكبيرتين لمنع الاحتكاك المباشر بينهما، وغالبا ما تكون هذه الدولة ضعيفة لا تشكل خطرا على اي من الدولتين في حاله المواجهة المباشرة. يمكن اعتبار هذا الوضع مرغوب فيه من الدولة العازلة ويحفظ استقلالها في مواجهه قوتين كبيرتين. لكنه في نفس الوقت قد يكلفها باهظا في حاله حدوث توتر كبير بين القوتين اذ انها تتحول الى هدف مباشر لكلاهما. وذلك ما حدث **لبولندا** مرارا اذ وضعت كمنطقه عازله بين روسيا وبروسيا وقد تكرر ذلك مع هولندا وبلجيكا وهي دول عازله بين فرنسا وألمانيا، فقد دفعت هذه الدول وضعها الجغرافي وخضعت اما للتقسيم او الاحتلال مرات عديده. وكانت ليبيا خلال الاحتلال الايطالي منطقه عازله

بين المستعمرات الفرنسية في المغرب العربي والمستعمرات الإنجليزية في المشرق، فقد شجعت بريطانيا على احتلال ليبيا بعد ان احتلت فرنسا تونس والجزائر.

لقد اعتبرت اوروبا الغربية في مجملها بعد الحرب العالمية الثانية منطقه عازله بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

اما الفكرة الجديدة فهي سياسة المناطق الآمنة ومضمونها اقتطاع جزء اقليم دوله ما والسيطرة عليه او نزع السلاح فيه او وضعه تحت اشراف سلطه دوليه وذلك لمنع الاحتكاك بين دولتين متصارعتين، مثل ما يجري جنوب لبنان بعض الاراضي السورية وتجريد شبه جزيرة سيناء من السلاح وما يجري في شمال العراق.

ثامنا: التدخل وعدم التدخل

وهو اسلوب لحماية مصالح الدول المتدخلة وقد يكون هذا التدخل دفاعيا من خلال ابقاء الاوضاع الراهنة داخل الدول المعنية، وقد يكون التدخل هجوميا عند تغير الوضع القائم داخل الدولة لعدم ملائمته للمصالح الخاصة بالدولة المتدخلة، وقد يكون تدخلا صريحا بصوره عسكريه مباشرة او بصوره غير مباشره عن طريق العمليات السرية كالاغتيالات والانقلابات في محاوله للاحتفاظ بأوضاع سياسية داخليه او محاوله تغييرها لان موازين القوة ترتبط بهذه الاوضاع، فالنظام السياسي الموالي للقطب سيعمل هذا القطب على دعمه وتثبيت استقراره في مواجهه القوة الداخلية والخارجية ولكنه سيخضع لعمليه معاكسه من قبل القطب الاخر فيصبح ميدانا للتنافس بين القطبين، ويجري التدخل في شؤونه الداخلية. ولعل

أبرز لهذه السياسة هو تدخل السوفياتي في بولندا والمجر سنه 1952 وتشيكوسلوفاكيا عام 1968، حيث شهدت البلدان ثورتان كان يمكن ان تؤديان الى تبديل جوهري في توازن قوى لو وقف الاتحاد السوفياتي مكتوف الايدي.

وتعد الولايات المتحدة في الوقت الحاضر أكثر الدول تدخلا في الشؤون الداخلية للحفاظ على توازن القوى في مصلحتها، في كوبا وتشيلي وبنما وجواتيمالا والدومينيكان غير ذلك من دول امريكا اللاتينية.

تاسعا: الحرب

تعد الحرب واستخدام القوة العسكرية هي الحل الاخير لتحقيق توازن القوى اذا فشلت كل او بعض السياسات السابقة في تحقيق هذا الهدف.

تحدث الباحثون في العلاقات الدولية عن الحرب كاداه لحفظ التوازن القوى او محاوله تعديله، وذلك لان الحرب مساله اخرى فالطرق المتبعة لحفظ ميزان القوى تتسم بالطالع السلمي مهما كانت درجه التوتر التي تحدثها، فهي وسائل دبلوماسية اما الحرب فإنها توقف العمل السلمي من اجل الحفاظ على التوازن.

ان الحرب في الحقيقة هي السياسة النهائية للحفاظ على توازن القوى او تعديله لكنها بسبب خطورتها يتم اللجوء اليها بعد استنفاذ عمل الوسائل السلمية، وفي كثير من الاحيان تكون السياسات الاخرى للحفاظ على توازن القوى مجرد مقدمه للحرب، فالعمل دبلوماسي تحالفات او التدخلات بمختلف اشكالها هي مجرد محاولات لمنع الانزلاق نحو اعمال

العنف. وسواء انتصر هذا الطرف او ذاك فان الحرب تحدث أثرها الفوري على توازن القوى وتؤدي عمليا الى انهياره وتشكيل توازن جديد.

عاشرا: صور اخرى للتأثير في توازن القوى

من الصعب في العصر الحديث حصر اساليب الدول على توازن القوى. مع التطور التقني الهائل وثوره الاتصالات والاعلام والتي تعتبر من افراد من أخطر ادوات التأثير والتي لم تعد غالبا محسوسة مرئية بحيث تسهل مقاومتها او التعامل معها. ولكن قاسمها المشترك هو اجبار اراده الدول وصناع القرار فيها على اتباع سياسة معينه تحقق اهدافها ومصالحها.

وهكذا فقد عرف العالم وسائل جديده تقوم على الدعاية والاعلام وعمل الأجهزة السرية التي تدبر للدول سياستها وتتولى تنفيذها، بأعمال مثل تدبير الانقلابات والإطاحة بالأنظمة اعمال تخريب السياسي والاقتصادي وتوفير الدعم لأطراف الصراعات الداخلية والتآمر والارهاب واشعال الفتن والحروب الأهلية واستخدام اساليب الافساد الاخلاقي والرشوة وغير ذلك من الصور التي تهدف دائما الى ممارسه الضغوط في اتجاه سياسة محدده.

المطلب الثالث: اشكال توازع القوى

أولا: توازن القوى متعدد الاقطاب

توازن يتشكل من قوى كثيره تعمل هذه المجموعات على موازنه بعضها البعض ويتصف ب

- الكثرة النسبية لأطرافه.

- الطبيعة التنافسية تقود الى الاستقرار والسلام
- خضوع الاطراف وقبولها لمبادئ التنافس تتصل بظهور قواعد شرعيه مقبولة من الاطراف جميعا.

ثانيا: التوازن البسيط (توازن ثنائي):

يقوم هذا التوازن عند وجود دولتين او كتلتين متعارضتين في حاله من التعادل النسبي وقد تناول **روز كرانس** في شروحه لنظام القطبية الثنائية لحقيقه تمخض عنها النظام السياسي الدولي بعد الحرب العالمية الثانية.

خصائصه

- يشكل توازن القوى البسيط مرحله الاقتراب من الحرب يؤدي اليها.
- ان هذا النوع من التوازن لا يخلق سوى فتره استقرار قصيره الامد. التاريخ يعطينا امثله لهذا النوع من التوازن.(توازن الحرب الباردة)

رابعا: التوازن المرن والتوازن الجامد

أ- **التوازن المرن:** هو التوازن الذي يقوم بين دول تنتمي الى فكر اقتصادي وسياسي واجتماعي موحد او متجانس، لذلك يطلق عليه احيانا توازن **الأنظمة المتجانسة** او **تجانس الأنظمة المعتدلة** مثال على ذلك دول الاتحاد الاوروبي.

ب- **التوازن الجامد:** وهو عكس المرن يقوم بين دول تنتمي الى نماذج فكريه او سياسية او اقتصاديه او اجتماعيه او حضارية متناقضة او متنافره، لذلك يسمى احيانا توازن **الأنظمة المتنافرة.** [1]

المطلب الرابع: الانقسام النظري الواقعي حول ميزان القوى

أولا: توازن القوى الرؤية الكلاسيكية

يجادل انصار هذه النظرية ان الدول تشكل تحالفات ردا على الاختلالات في توزيع القوه،[2] اي من اجل ابعاد الدول الاقوى او تحالفات من دول اخرى عن السيطرة على الدول المتحالفة، وتسعى الدول لتحقيق التوازن مع الدولة الاقوى من خلال تجميع قواها وقدراتها لتحقيق التهديد المتماثل، ف **كينيث والتز** يرى ان الدول الثانوية اذا كان لديها حريه اختيار فإنها تتدافع على الجانب الاضعف لأنه هو الجانب الاقوى الذي يهددها، كما ان السعي للتوازن من اجل الاستقرار لا يعني عدم وجود الحروب لكن في ظل هذا النظام اذا وقعت الحرب فستكون محدودة ولا تهدد هيكل النظام الدولي.

إذا التحالف على ضوء نظريه توازن القوى الكلاسيكية هو استجابة عقلانية لتعدد القوى الخارجية او الإقليمية.

ثانيا: توازن الرعب

[1]- محمد عصام كبر خوجة، صفحه 20.

[2]- شوقي عرجون، **نظرية توازن القوى في العلاقات الدولية:قراءة في التفرعات النظرية** ،(مجلة الباحث للدراسات الاكاديمية،المجلد 08/ العدد 03، جوان 2021)،ص773.

حتى وقت قريب كان يمكن الدعاء ودون تحفظات كثيره ان توازن القوى هو نظريه علميه كغيرها من النظريات في العلوم التطبيقية والاجتماعية الأخرى، لكن متغيرا اساسيا قد ظهر هو الاكتشاف الذري الذي انتج نوعا جديدا من التوازن اطلق عليه توازن الرعب وهو توازن جعل بعض الباحثين والدارسين ينصرف الى ان نظريه توازن القوى اصبحت من الماضي ، لان الصراع فيما مضى كان يقود الى الحرب، والتي اصبحت مستحيلة في عصر الذرة، لان الحرب اصبحت تعني الفناء التام للأطراف المتصارعة، فتوازن الحرب الباردة اجبر اطرافه على اللجوء للتفاهم في كل مره تصاعدت بينهم اسباب التوتر.

فالسلاح النووي يجعل قرارات الحرب والسلام أكثر عقلانية لان حجم الدمار وعدد الضحايا لابد ان يدخل في حساب المسؤولين على شعوبهم وعلى العالم كما انه سيؤثر في شكل الحروب إذا اندلعت.

ارتبطت نظريه توازن الرعب النووي بامتلاك الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي للأسلحة النووية في النصف الثاني من القرن 20. وربما لم يتناولها الباحثون كنظريه علميه مجرده صالحه للتطبيق بين اي طرفين يمتلكان الأسلحة النووية. لكن هذا الوضع قد تبدل الان بعد امتلاك دول اخرى لهذا السلاح. ان المضمون التقليدي لنظريه توازن الرعب يذهب الى قيام حاله من التوازن بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ويستند هذا التوازن للردع المتبادل، اي قدره الطرفين على تدمير بعضهما تدميرا كاملا نهائيا في حاله وقوع الحرب النووية تحت اي ظرف من ظروف المبادأة، فالذي يقوم بالمبادأة

بضربه نووية اولى يعرف مقدما ان الخصم قادر على استيعاب هذه الضربة وتوجيه ضربه مضادة له ستكون خسائرها مشابهه او اكثر مما الحق بالخصم،[1] فاذا اندلعت الحرب النووية فإنها لن تتوقف لأنها ستكون ضربات وضربات مضادة، ومن المحتمل ان تنتهي الحرب دون وجود طرف يمكنه اعلان استسلام لان الطرفين سيكونان قد انتحرا بشكل متبادل.

ان السلاح النووي قد استبعد تقريبا فكره الدفاع واحل محلها فكره الردع ففي الحروب التقليدية انصبت استراتيجيات الدول على الدفاع والهجوم. فمهما كان شان الخصم و مقدار قوته فان جزءا من مقدرات الدولة يمكن الدفاع عنه حتى في حاله الهزيمة، وهذا هو الجزء الممكن الاستسلام لأجل الحفاظ عليه، اما في حالة الحرب النووية فانه يجعل الطرف الاخر في حاله ادراك واقتناع بان اتخاذ قرار القيام بضربة نووية يجعل خيار الاستسلام للحفظ على الحد الأدنى من مقدرات الدولة شيئا مستحيلا، لان قدرة الخصم على امتصاص الضربة الأولى والرد عليها سيكون اقوى واشد تدميرا.

ومما لا شك فيه فان الجدل سيظل مستمرا حول مساله توازن الرعب وتحقيق الاستقرار وذلك لان البحث في هذه المسالة لا يتم الا في الإطار النظري وهو إطار يسمح بتعدد وجهات النظر فلا توجد وقائع تاريخيه محدده يمكن الاستناد اليها في المسألة بشكل نهائي وقد حدث العديد من الازمات بين العملاقين النوويين ووضع العالم على حافه الحرب النووية لكن الطرفين امتنعا عن المواجهة، والأسئلة المطروحة تتعلق بالدرجة الأولى عن سبب

[1]- إسماعيل صبري مقلد ، مرجع سابق ، ص 283.

الامتناع عن الحرب هل تم ذلك بفعل الرعب النووي؟ ام ان موضوعات النزاع كانت أصغر من الدفاع عنها بالحرب النووية؟

صرح وزير الدفاع الامريكي الاسبق **روبرت ماكنامار** ووفق تجربته الشخصية" **امام 52،000 سلاح نووي سوفيتي ليس امام الغرب سوى اتباع سياسة الردع القائمة على افهام الروس بوضوح شديد على ان اي ضربه نووية موجهه للغرب ستواجه بقصف مدمره تمنعهم من التفكير في بدء هذه الضربة**".

يرى عموم الباحثين ومن خلال التأمل النظري على بعض الوقائع التاريخية المحدودة بان العصر النووي لم يبدد بصوره جدريه في نظريه توازن القوى التقليدية فالحرب بين الاطراف النووية ما زالت ممكنا لكن استخدام الأسلحة النووية في حربها ليس ضروري فقد وجدت هذه الاطراف صيغه جديده لحروبها وهي الحروب الإقليمية الغير مباشر (الحروب بالوكالة).

ثالثا : نظريه توازن التهديد

تحدى **ستيفن والت** افتراض **كينيث والتز** في كتابه "**اصل التحالفات**" وقام بمراجعه النظرية التقليدية لميزان القوى نظريه ميزان تهديد لشرح تشكيل التحالفات وفرضيته الأساسية هي انه على الرغم من ان القوه هي جزء مهم من المعادلة لكنها ليست العامل الوحيد، والاكثر دقه ان نقول ان الدول تميل للتحالف مع او ضد قوه اجنبيه التي تشكل اكبر تهديد ، ووفقا لهذا الراي يعتبر سلوك تشكيل التحالف كرد واستجابة للتهديدات وليس نابع من

حسابات القوه الإجمالية، وفي دراسته لتشكيل التحالفات في منطقه الشرق الاوسط يعتبر **ولت** ان اصول التحالفات في المنطقة تعود الى:

أولا: التهديدات الخارجية هي السبب الاكثر شيوعا للتحالفات الدولية.

ثانيا: تحقيق التوازن واكثر شيوعا بكثير من الإتباعية.

ثالثا : الدول لا تسعى فقط لتحقيق التوازن ضد القوه فقد يكون التوازن ضد التهديدات.

رابعا : تزيد القدرات والنوايا الهجومية من احتمال انضمام الاخرين للقوى في المعارضة.

ويأتي التوازن لسببين :

الأول : قد يتعرض بقاء الدولة للخطر اذا فشلت في كبح الطرف الساعي للهيمنة.

الثاني : الانضمام للجانب الاضعف يأتي بمزايا اكبر من الانضمام الى الاقوى.

كما يعتبر وورد ان هناك نمطين من التوازن

- توازن الذي يتم بواسطه الوسائل العسكرية ولأهداف عسكريه محدده.
- التوازن الذي يتم بوسائل سياسيه يستهدف الصورة النمطية قسم شرعيته لكن من الراجح ان لك الى النوعين هدف الحصول على الدعم من الاخرين استجابة لتهديد خارجي.

رابعا : نظريه التوازن الكلي الشامل

تستند الموازنة الكلية على تسليط الضوء على كل احتياجات القادة لتحقيق التوازن ضد اي تهديد فوري داخلي او خارجي وفقا لآراء مفكري الموازنة الكلية فان المحدد الاقوى في سلوك دول العالم الثالث هو الحسابات العقلانية لزعماء هذه الدول من خلال التوجه نحو القوه الخارجية، والقيام بكل ما هو ضروري لبقائهم في السلطة ، وبعباره اخرى التهديدات الداخلية والخارجية لقياده الدولة تؤثر بشكل مباشر على حق هؤلاء القادة على الحكم ، لذلك هؤلاء القادة يعالجون بالدرجة الاولى مصالحهم الذاتية في تعاملهم مع هذه التهديدات وليس بالضرورة المصالح الوطنية ولذلك اعتبرت هذه النظرية السياق الأرجح لتفسير سلوك دول العالم الثالث.

خامسا :نظريه توازن المصلحة (الإتباعية)

فمفادها ان الدول تستثمر في الفرص متاحه لديها لتحقيق مكاسبها ومنافعها، تنقسم الدول الى نوعين دول قانعة بالوضع القائم ودول طموحه، فبينما تميل دول الطموحة العدوانية الى تحقيق التوازن ، فان الدول القانعة بالوضع القائم تتجه الى مسايره الركب و تتجه الى التحالف مع الدول الاقوى اذا كان ذلك في مصلحتها بالمجمل فان **راندل شويلر** ينتقد نظريه توازن التهديد عند ستيفن وولت، فمن منظوره دول الصف الثاني لا تتحالف ضد التهديدات كما لا تتحالف ضد الدول القوية بل قد تضطر الى القبول الوضع القائم من

خلال مسايره ركب القوى العظمى المسيطرة اذا كان ذلك يحقق لها الربح ، فالسلوك الشائع بالنظام الدولي حسب راندل شويلر هو المسايرة(الاتباعية) وليس التوازن.

وتتضمن التحالف مع الدولة او القوه المهددة (مصدر التهديد) فالدول الضعيفة عاده ما تبادر للانضمام تحت لواء القوه المهددة لها املا في تشتيت التهديد وتمديده الى دول اخرى او تلبيه مطالبها، والافتراض هنا هو ان القوه تجذب الحلفاء بحيث ان هذا يتيح للدول الضعيفة الحفاظ على استقلالها تقع على الجانب المنتصر في حاله حدوث نزاع.

صاحب النظرية **راندل شويلر** يجادل ان الحجه الأساسية لانتهاج الدول لسياسه الإتباعية ليست الخوف من مواجهات قوه راجحه او تهديدات ، ولكن رؤيتهم بان في ذلك فرصه لتحقيق الربح، عارض **شويلر** افكار **والت** محاججا ان سلوكيات التحالف للدول ليست فقط بدافع تحقيق اكبر قدر من الامن، ولا يعتبر سلوك الإتباعية هو استسلام للتهديد، ولكنها فرصه لتحقيق مكاسب، فالإتباعية هي من اجل الربح وليس من اجل الامن.

يرى **شويلر** ان ال موازنه والإتباعية لا يعتبران سلوكان متعاكسان، فقط يختلف الدافع وراءهما، فقص سياسة الإتباعية عاده عند توقع تحقيق مكاسب بينما يتم انتهاج سياسة الموازنة من اجل الامن ويترتب عليه دائما تكاليف.

سادسا :/التوازن خارج الاقليم

الى استراتيجية تتبع قوه عظمى كأمريكا بحيث لا تتدخل مباشره في مناطق التنافس الجيوسياسي الا في حاله ظهور قوه اقليميه مهيمنه تهدد بتغيير ميزان القوى، وبدلا من الانخراط العسكري المستمر تعتمد هذه الاستراتيجية على، دعم القوى الإقليمية المنافسة المهيمن المحتمل. وتستخدم التدخل المباشر فقط عندما يعجز حلفاء المحليونق من عن هيمنه.

حيث يرى **كريستوفر لاين** ان الولايات المتحدة تميل الى التوسع الامبراطوري بشكل يتجاوز مصالحها الأمنية وان هذا يعرضها للتورط المقرط في ازمات لا تمس امنها القومي الحيوي ، ولهذا يطرح التوازن خارج الاقليم بديل اكثر فعالية. ومن نتائجها الإيجابية انه يقلل التكاليف المالية والعسكرية وتجنب الحروب الطويلة غير الضرورية.

ان استراتيجية التوازن خارج الإقليم تعتمد بشكل مفرط على افتراض ان القوة الإقليمية تتولى مسؤوليه الدفاع عن نفسها دون الحاجة الى تدخل امريكي مباشر، غير ان تخفيف التواجد الامريكي قد يؤدي الى فراغات امنيه تستغلها قوى منافسه مما يضعف من قدره الولايات المتحدة على التأثير في المناطق الحيوية.

المطلب الرابع: نقد نظرية توازن القوى

أولا: الانتقادات الداخلية والخارجية الموجهة لنظرية توازن القوى

تواجه هذه النظرية انتقادات داخلية من داخل المنظور الواقعي نفسه، وانتقادات خارجية من مدارس فكرية أخرى مثل الليبرالية والبنائية. يتناول هذا المبحث أهم هذه الانتقادات بالتفصيل.

1/ الانتقادات الداخلية

تُشير الانتقادات الداخلية إلى الثغرات المنهجية والتناقضات النظرية التي تُضعف أساس النظرية من الداخل، حتى ضمن الإطار الواقعي:

أ. **الغموض المفاهيمي والتنظيري:**

– تُتهم النظرية بعدم وضوح تعريف "التوازن" ذاته، حيث تختلف تفسيراتها بين الواقعيين الكلاسيكيين والواقعيين الجدد. فبينما يرى كينيث والتز (Kenneth Waltz) أن التوازن يتحقق تلقائيًا في النظام الفوضوي، يشير ستيفن والت (Stephen Walt) إلى أن الدول توازن ضد التهديدات وليس القوة فحسب، مما يفتح الباب لاختلافات في تحديد متى وكيف يحدث التوازن.

– إشكالية التمييز بين "الموازنة" (Balancing) و"الركوب على الموجة" (Bandwagoning)، حيث أظهرت حالات تاريخية (كتحالف بعض الدول مع هتلر) أن

الدول قد تختار الانضمام للقوة الصاعدة بدلًا من موازنتها، مما يُضعف القدرة التنبؤية للنظرية.

ب. التحديات الواقعية:

– فشل النظرية في تفسير حالات "غياب الموازنة" (Underbalancing)، كما في عدم تشكيل تحالفات قوية لموازنة الولايات المتحدة في مرحلة الأحادية القطبية بعد الحرب الباردة، وفقًا لتحليل ويليام وولفورث (William Wohlforth).

– التركيز المفرط على القوة العسكرية كعامل وحيد، وإهمال أبعاد أخرى مثل القوة الاقتصادية أو الناعمة، التي قد تُشكل توازنات غير تقليدية (مثال: صعود الصين عبر الاستثمار في البنى التحتية العالمية).

ج. التحيز التاريخي والجغرافي:

– تُعَد النظرية نتاجًا للسياق الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (مثل نظام الكونسرت الأوروبي)، مما يحد من إمكانية تعميمها على أنظمة دولية مختلفة الثقافات أو البنى، كالنظام الآسيوي القائم على التسلسل الهرمي.

/2: الانتقادات الخارجية:

أ/منظور الليبرالية

تركز المدرسة الليبرالية على دور العوامل المؤسسية والاقتصادية في تشكيل سلوك الدول، مُقدِّمةً الانتقادات التالية:

1. دور المؤسسات الدولية والاعتماد المتبادل:

– تزعم أعمال روبرت كيوهان (Robert Keohane) وجوزيف ناي (Joseph Nye) أن المؤسسات الدولية (مثل الأمم المتحدة أو منظمة التجارة العالمية) تُقلل من حاجة الدول إلى الموازنة العسكرية عبر توفير آليات لحل النزاعات وتعزيز التعاون.

– يُظهر الاعتماد الاقتصادي المتبادل (كما في العلاقة بين الصين والولايات المتحدة) أن تكلفة الصراع العسكري تفوق فوائده، مما يحوِّل التنافس إلى مجال اقتصادي وتكنولوجي بدلًا من الموازنة التقليدية.

2. نظرية السلام الديمقراطي:

– وفقًا لـ مايكل دويل (Michael Doyle)، تتعارض النظرية مع فرضية "السلام الديمقراطي"، التي تُؤكد أن الديمقراطيات لا تحارب بعضها بسبب قيود مؤسسية وقيم مشتركة، مما يُضعف افتراض النظرية عن حتمية التنافس الأمني.

3. **العولمة والاعتماد المتبادل:**

– في عصر العولمة، تتداخل المصالح الوطنية عبر الشبكات الاقتصادية والرقمية، مما يجعل مفهوم "التوازن" ذا طبيعة متعددة الأبعاد يصعب قياسه بالمعايير الواقعية التقليدية.

ب/منظور البنائية

تنطلق البنائية من فكرة أن الهويات والمعايير الاجتماعية تُشكل سلوك الدول، مُقدِّمةً النقد التالي:

1. البناء الاجتماعي للقوة والتهديد:

– يرى ألكسندر وندت (Alexander Wendt) أن "الفوضى هي ما تصنعه الدول منها"، فطبيعة النظام الدولي ليست مُعطاة مسبقا بل مُتغيرة بناءً على التفاعلات الاجتماعية. على سبيل المثال، تحالف الولايات المتحدة مع بريطانيا رغم التفاوت في القوة يعكس هوية مشتركة وليس موازنة ضد تهديد مادي.

– تُعيد البنائية تعريف "القوة" لتشمل عناصر رمزية ومعرفية (مثل الشرعية الثقافية)، مما يتعارض مع التصور الواقعي المادي.

2. دور المعايير في إعادة تشكيل السلوك:

– أدت المعايير الدولية المناهضة للحرب التوسعية (مثل ميثاق الأمم المتحدة) إلى تقليل احتمالية استخدام القوة العسكرية كأداة لتحقيق الهيمنة، مما يُقلل من أهمية آلية التوازن الكلاسيكية.

– تُفسر البنائية تحول حلف الناتو بعد الحرب الباردة كتعبير عن قيم أمنية جماعية، وليس كرد فعل لتوازن القوى.

3. تغير الهويات والمصالح:

– تُجادل البنائية بأن مصالح الدول ليست ثابتة، بل تتشكل عبر التفاعلات الدبلوماسية والحوار. فالتطبيع بين إسرائيل وبعض الدول العربية لا يُفسر بالتوازن بل بإعادة تعريف الهويات والتهديدات.

الفصل الثالث: التوازن الاستراتيجي بين الصين والولايات المتحدة في ضوء نماذج توازن القوى (2017–2025)

مقدمة الفصل

عرفت العلاقات الصينية–الأمريكية خلال الفترة الممتدة من 2017 إلى 2025 تحولات جوهرية في بنيتها ومجالها التفاعلي، حيث انتقلت من حالة تنافس مرن إلى حالة من المواجهة المفتوحة متعددة الأبعاد. ويُعدّ هذا التحول أحد أبرز مظاهر إعادة تشكّل النظام الدولي المعاصر، والذي يشتد فيه التنافس ومحاولة التوازن بين قوتين، الاولى يعتبرها بعض الدارسين بانها المهيمنة على النظام الدولي (الولايات المتحدة) وقوة صاعدة (الصين). سيتناول هذا الفصل، عبر مقاربة واقعية، وبتطبيق اربع نماذج تحليله (التوازن الكلاسيكي، توازن التهديد، توازن المصلحة، والتوازن خارج المجال)، لمحاولة تفسير سلوك كل من الولايات المتحدة الامريكية والصين في ضل التنافس متعدد الابعاد والاشكال بينهما، مع استحضار أمثلة واقعية وأحداث محورية خلال الفترة المدروسة.

المبحث الأول: التوازن الكلاسيكي وتوازن التهديد

المطلب الأول: التوازن الكلاسيكي (سباق التسلح)

يعتمد التوازن الكلاسيكي، وهو المفهوم الأقدم والأكثر تقليدية في نظرية توازن القوى كما أشرنا الى ذلك سابقا، على مبدأ محاولة تحقيق تكافؤ في القوة العسكرية الصرفة بين القوى الكبرى من أجل تفادي هيمنة طرف على آخر. وهو ما يُعرف بـ "**سباق التسلح**" (Arms Race) عندما تسعى الدول إلى مطابقة أو تجاوز القدرات العسكرية لخصومها.

ومنذ وصول **إدارة ترامب** في 2017، شهدت منطقة شرق آسيا تسارعًا في هذا السباق بين الصين والولايات المتحدة، خصوصًا في المجال البحري الذي يُعدّ حاسمًا للسيطرة على طرق التجارة والمناطق المتنازع عليها.

ففي مارس 2018، أعلنت الصين ضمن "الكتاب الأبيض الدفاعي" [1]عن نيتها تطوير "**جيش من الطراز العالمي**" بحلول 2035، ورفعت ميزانيتها العسكرية باستمرار، حيث ارتفعت من حوالي 151 مليار دولار أمريكي في عام 2017 إلى ما يقدر بنحو 240 مليار دولار في عام 2024 بالإضافة الى ارتفاع لحجم الترسانة النووية من410 راس حربي في جانفي 2023 الى 500 راس حربي في جانفي 2024 .[2]

---

[1]- **الصين والعالم في العصر الجديد**. مكتب الاعلام التابع لمجلس الدولة الصيني .27-09-2019.

[2]- معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام SIPRIالكتاب السنوي لأبحاث السلام 2024.

هذا النمو المتواصل في الميزانية يعكس التزامًا صينيًا طويل الأمد بتعزيز قدراتها العسكرية، لا سيما البحرية، لتأكيد نفوذها في المحيطين الهندي والهادئ، وبناء "**بحرية المياه الزرقاء**".

وفي المقابل، كثّفت الولايات المتحدة من مناوراتها العسكرية ووجودها البحري. أبرزها مناورات (Rim of the Pacific Exercise)التي جرت في صيف 2022، وشاركت فيها 26 دولة و38 سفينة واربع غواصات ونسع قوات برية وظنية وحوالي 170 طائرة واكثر من 25 الف فرد، وتمركزت في المحيط الهادئ قرب جزر هاواي وجنوب كاليفورنيا وما حولها في الفترة من 29 جانفي الى 4 اوت 2022 [1]، وذلك لمواجهة التوسع الصيني في بحر الصين الجنوبي. هذه المناورات، التي تُقام كل عامين، تهدف إلى إظهار القدرة الأمريكية على حشد الدعم الدولي وتنسيق العمليات البحرية. كما نشرت حاملات طائرات هجومية بشكل متكرر، مثل " "USS Ronald Reaganو" USS Theodore Roosevelt"، في مياه قريبة من جزر باراسيل وسبراتلي المتنازع عليها. و في يوليو 2020، أجرت حاملتا الطائرات الأمريكيتان " "USS Ronald Reaganو" USS Nimitz"تدريبات مزدوجة في بحر الصين الجنوبي، بالتزامن مع توترات متزايدة بشأن مطالبات الصين بالسيادة على هذه المياه[2].

[1]- الموقع الرسمي لحكومة الولايات المتحدة الامريكية.-www.cpf.navy.mil/newsroom/news/article/3080530/rimpac-2022-officially-starts. تاريخ المشاهدة الجمعة 20 جوان 2025 الساعة 12.34 صباحا.

[2]- نفس المرجع السابق.

برزت مظاهر التوازن الكلاسيكي أيضًا في تطوير الصين لأسطولها البحري. فوفقًا لتقارير البنتاغون، تفوقت الصين عدديًا على الولايات المتحدة في عدد السفن الحربية منذ عام 2020، بعد أن بلغ عدد قطعها البحرية حوالي 355 وحدة، مقارنة بنحو 296 للولايات المتحدة في نفس العام.[1] ومن المتوقع ان تبلغ القوة القتالية للصين بحلول 2025 عن ما يقارب 395 سفينة ثم 435 سفينة بحلول عام 2030 .[2] لكن من حيث النوعية والقدرات التكنولوجية والتشغيلية، لا تزال الولايات المتحدة متفوقة بشكل كبير في مجال الغواصات النووية وحاملات الطائرات. ففي حين تمتلك الولايات المتحدة 11 حاملة طائرات عاملة (و10 حاملات أسطول)، تمتلك الصين ثلاث حاملات فقط (Shandong،Liaoning ، Fujian) اعتبارًا من عام 2024، مع فارق كبير في الخبرة التشغيلية والقدرات الجوية المرتبطة بها [5]. يشير هذا التوازن إلى أن الردع القائم لا يعتمد فقط على الأرقام المطلقة، بل على القدرة التكنولوجية، والتموقع الجغرافي، والتراكم النوعي للقوة، مما يعكس سباق تسلح لا يزال مستمرًا ومفتوحًا على التطورات.

أبعاد إضافية للتوازن الكلاسيكي:

يتجاوز سباق التسلح البحري نطاق المياه التقليدية ليشمل بعدًا حاسمًا جديدًا و الفضاء. يشهد هذا المجال سباقاً محتدماً لتطوير القدرات العسكرية والمدنية، حيث تتنافس القوتان

[1] - united state office of the secretary of defense، **military and security developments involving the people's republic of china 2020**.

[2] - Congressional research service, **china naval modernization: implications for U.S Navy capabilities-background and Issues for congress**. April 24, 2025 .p 6.

على السيطرة على المدارات الحيوية. فمنذ عام 2017، كثفت الصين من إطلاق الأقمار الصناعية لأغراض المراقبة والاستطلاع والاتصالات، وواصلت تطوير تقنيات مضادة للأقمار الصناعية (ASAT) (**Antisatellite**)، وعلى الرغم من صعوبة الحصول على المعلومات والبيانات الدقيقة الا ان العقيدة العسكرية الصينية تركز بشدة على الحرب الالكترونية كجزء من الحرب التكنلوجية الاوسع[1]. في المقابل، عززت الولايات المتحدة من استثماراتها في القيادة الفضائية وأنشأت "**قوة الفضاء**" في عام 2019، بهدف حماية أصولها الفضائية وتطوير قدرات ردع خاصة بالفضاء حيث تمتلك العديد من أنظمة الحرب الالكترونية التشغيلية للفضاء المضاد (نظام الاتصالات المضادة)[2]، هذه الجهود المتبادلة تعكس سعياً نحو توازن كلاسيكي جديد في البعد الفضائي، حيث تُعتبر الهيمنة في الفضاء أساساً للقدرات العسكرية الحديثة.

المطلب الثاني: توازن التهديد والتصورات العدائية المتبادلة

كما بينا سابقا فان نظرية توازن التهديد (Balance of Threat Theory)تسعى لتفسير سلوك الدول ليس فقط بناءً على حجم القوة المادية، بل بمدى إدراك نوايا الخصم وتصوره كتهديد. هذا الإدراك يمكن أن يدفع الدول إلى الموازنة ضد خصم حتى لو لم يكن متفوقًا عسكريًا بشكل كامل. منذ ديسمبر 2017، أدرجت "استراتيجية الأمن القومي الأمريكية" التي أصدرتها **إدارة ترامب**، الصين ضمن قائمة التهديدات الكبرى، إلى جانب

[1] - secure world foundation. **Global counterspace capabilities: an open source assessment**, 4-2025.p 24.

[2] - secure world foundation. **Global counterspace capabilités:an open source assessment** ,4-2025.p 20.

روسيا وكوريا الشمالية وإيران، واصفة إياها بـ "القوة المنافسة" التي تسعى إلى "تغيير النظام العالمي"[1]. ثم عمّق هذا الموقف " استراتيجية الأمن القومي الأمريكية لعام 2022" لإدارة بايدن، تعد الصين المنافس الوحيد على المستوى العالمي الذي ينوي إعادة رسم النظام الدولي كليا [2]، ووصفها بأنها "الخطر الجيوسياسي الأكثر شمولًا" و"التحدي الأكثر خطورة على المدى الطويل للقيادة الأمريكية"[3].

لقد تعمق هذا الإدراك للتهديد بشكل كبير مع ظهور جائحة كوفيد–19 في أوائل عام 2020، ففي حين كانت الجائحة حدثاً صحياً عالمياً، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى نقطة احتكاك جيوسياسي حادة بين واشنطن وبكين، اتهمت **إدارة ترامب**، ومن بعدها بعض الأصوات في **إدارة بايدن**، الصين بالمسؤولية عن انتشار الفيروس، وبالتعتيم على المعلومات في مراحله الأولى، بل وذهب البعض إلى أبعد من ذلك بالترويج لفرضية أن الفيروس نشأ من مختبر في **ووهان**، هذه الاتهامات التي نفتها بكين بشدة واعتبرتها محاولة لتشويه سمعتها وتحويل الأنظار، غذّت التصورات السلبية المتبادلة وعمّقت انعدام الثقة بين الطرفين. ردت الصين بحملات دبلوماسية مكثفة للدفاع عن موقفها، واتهمت الولايات المتحدة بتسييس الجائحة.

ترجمت الولايات المتحدة هذا الإدراك المتنامي للتهديد الصيني في حزمة من الإجراءات التي تجاوزت المجال العسكري لتشمل التكنولوجيا والاقتصاد. أبرز هذه

[1] - **National security strategy of United States of America** .December 2017.

[2] - **National security strategy of United States of America** .December 2022.p 23

[3]- نفس المرجع .ص23 .

الإجراءات كان حظر استخدام معدات "هواوي" في شبكات 5 Gحول العالم في عام 2019، استنادًا إلى مخاوف أمنية تتعلق بالتجسس ووصول الحكومة الصينية إلى البيانات حيث جاء في نص الوثيقة الصادرة من طرف وزارة التجارة الأمريكية بان شركة **هواوي** قد شاركت في أنشطة تم تحديدها على انها تتعارض مع مصالح الامن القومي للولايات المتحدة الامريكية بالإضافة الى 13 اتهام اخر صادر عن المحكمة الجزائية الامريكية للمنطقة الشرقية من نيويورك[1]. وفي أكتوبر 2022 تم تقييد تصدير الرقائق المتقدمة وتكنولوجيا صناعتها إلى الصين، بهدف إبطاء التطور التكنولوجي الصيني في مجالات حيوية مثل الذكاء الاصطناعي والحوسبة الفائقة[2]. بالإضافة إلى ذلك، تم سن "قانون الرقائق والعلوم" في أوت 2022 بقيمة 280 مليار دولار لدعم الصناعة الأمريكية في إنتاج أشباه الموصلات، في محاولة لتقليل الاعتماد على سلاسل الإمداد الآسيوية وتعزيز الأمن الاقتصادي القومي.

من جانبها، اعتبرت الصين هذه الخطوات بمثابة "حرب باردة تقنية" و"محاولة للاحتواء الشامل" لنفوذها ونهضتها، ردّت بكين بمناورات عسكرية مكثفة قرب تايوان في أوت 2022، تلت زيارة رئيسة مجلس النواب الأمريكي **نانسي بيلوسي** للجزيرة في 2 أوت 2022، والتي اعتبرتها الصين انتهاكًا لمبدأ "الصين الواحدة" حيث ردت الصين بإجراءات مضادة منها

[1] - U.S department of commerce 2019. **Entry list actions regarding Huawei technologies co. ltd and its non-U.S. affiliates.**

[2] - U.S department of commerce bureau of industry and security 2022 .**export control regulations related to advanced computing and semiconductor manufacturing equipment.**

الغاء محادثات تنسيق السياسة الدفاعية بين البلدين وكذلك الغاء اجتماعات اتفاقية التشاور البحري العسكري وتعليق التعاون بينهما بشان إعادة المهاجرين غير الشرعيين ومكافحة الجرائم العابرة للحدود.

كما شملت الاجراءات مناورات وإطلاق صواريخ باليستية فوق تايوان وعبور خط الوسط في مضيق تايوان، مما زاد من التوترات في المنطقة بشكل غير مسبوق، كما أُجريت مناورات صينية–روسية مشتركة في سبتمبر 2022 في "**فوستوك**"، شارك فيها آلاف الجنود وعشرات السفن والطائرات، ما اعتُبر رسالة ردع استراتيجية ضد التحالفات الغربية، وتأكيدًا على الشراكة الاستراتيجية بين البلدين في مواجهة النفوذ الأمريكي.

تكشف هذه الإجراءات المتبادلة أن الطرفين لا يتحركان فقط بناءً على توازن القدرات المادية، بل على إدراك نوايا الآخر ونوعية التهديد الذي يمثله، هذا التصور المتبادل للعدائية يجعل احتمالات التصعيد قائمة حتى في غياب تفوق مادي مباشر، ويبرز الدور المحوري للإدراك في تشكيل سلوك الدول في النظام الدولي.

المبحث الثاني: توازن المصلحة والتوازن خارج المجال

المطلب الأول: توازن المصلحة كآلية للتهدئة:

رغم التوترات السياسية والأمنية المتصاعدة، تحتفظ الصين والولايات المتحدة بشبكة مصالح اقتصادية عميقة، مما يخلق نوعًا من "توازن المصلحة" (Balance of Interest). هذا المفهوم يشير إلى أن حجم المصالح المشتركة أو المتبادلة بين الدول يمكن أن يحد من رغبتهما في التصعيد إلى صراع شامل، لأن كلفة الصراع ستكون باهظة للطرفين، حيث بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين ذروته سنة 2022 بما يفوق 673 مليار دولار أمريكي وقبله سنة 2021 ب 658 مليار دولار بحسب بيانات مكتب التحليل الاقتصادي الامريكي، مما يجعلهما شريكين تجاريين رئيسيين لبعضهما البعض، على الرغم من الجهود المبذولة لـ "فك الارتباط" الاقتصادي، وتحتفظ الصين بسندات خزينة أمريكية بقيمة تتجاوز 759 مليار دولار الى غاية ديسمبر 2024 ، ما يعكس تشابكًا غير مسبوق بين اقتصادين متنافسين، حيث تمتلك بكين تأثيرًا غير مباشر على استقرار السوق المالية الأمريكية من خلال حيازتها الضخمة من الديون السيادية.[1]

اندلعت الحرب التجارية رسميًا في يوليو 2018 بفرض رسوم جمركية متبادلة على مئات المليارات من الدولارات من السلع، وهي خطوة هدفها تقليل العجز التجاري الأمريكي وتحفيز الصناعة المحلية، لكن هذه "الحرب" انتهت جزئيًا بتوقيع "اتفاق المرحلة الأولى" في

[1] - Congressional research service, **foreign holdings of federal debt** .May 23, 2025. p 3.

جانفي 2020، والذي ألزم الصين بشراء منتجات أمريكية إضافية بقيمة 200 مليار دولار خلال عامين (2020–2021)، وشمل ذلك سلعًا زراعية وطاقة ومنتجات مصنعة.[1] على الرغم من أن جائحة كوفيد–19 أثرت سلبًا على تحقيق الصين الكامل لالتزاماتها في هذا الاتفاق، إلا أن الاتفاق حافظ على قنوات الاتصال مفتوحة ومنع انهيارًا كاملاً للعلاقات التجارية، مما يعكس إدراكًا مشتركًا بضرورة إدارة الخلافات الاقتصادية حتى في أوقات الأزمات العالمية.

وبالتوازي، استمرت الشركات الأمريكية الكبرى مثل " "Apple" "Tesla" في العمل داخل الصين، بل ووسعت استثماراتها هناك، على سبيل المثال، افتتحت Teslaمصنعها في شنغهاي عام 2019، ليصبح أكبر مصنع لها خارج الولايات المتحدة، ويساهم بشكل كبير في إنتاج الشركة عالميًا، وفي المقابل تعتمد بكين بشكل كبير على استيراد تكنولوجيا أشباه الموصلات والمعدات الدقيقة من شركات أمريكية[2] ويابانية وهولندية لضمان تقدمها التكنولوجي، مما يسلط الضوء على الاعتماد المتبادل في سلاسل القيمة العالمية، ويزيد من كلفة أي فك ارتباط كامل.

[1] - Economic and trade agreement between the government of the United States of America and the government of the people's republic of china.

[2] - Andrea's Schumacher, **china's mature semiconductor overcapacity: does it exist and does it matter?** .the center for strategy and international studies (CSIS).

أبعاد إضافية لتوازن المصلحة:

يتجلى توازن المصلحة أيضاً في سعي القوتين للوصول إلى الموارد الطبيعية وممرات الشحن الحيوية في مناطق خارج نطاقهما الجغرافي المباشر، مثل القطب الشمالي وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، حيث تواصل الصين توسيع مبادرة الحزام والطريق عبر استثمارات ضخمة في البنية التحتية والموارد الطبيعية، مما يتحدى النفوذ الأمريكي التقليدي، ردت الولايات المتحدة بمبادرات مثل "**الشراكة من أجل البنية التحتية والاستثمار العالمي**" (PGII) التي أطلقتها في عام 2022، كبديل لنموذج الاستثمار الصيني، وذلك بهدف الحفاظ على مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية. هذا السعي المشترك لضمان الوصول إلى الموارد والأسواق يعزز توازن المصالح كآلية لكبح جماح التصعيد.

المطلب الثاني: التوازن خارج المجال وتحالفات الردع غير المباشر

يُعرف التوازن خارج المجال ((Offshore Balancing) كاستراتيجية تتبعها قوة عظمى (عادة الولايات المتحدة) لتجنب الانخراط المباشر والمكلف في صراعات إقليمية، وبدلاً من ذلك تعتمد على دعم حلفاء إقليميين ليقوموا بموازنة القوى الصاعدة في مناطقهم. خلال الفترة المدروسة، طبقت الولايات المتحدة بوضوح مبدأ "**التوازن خارج المجال**" عبر بناء شبكة تحالفات قوية تتيح لها احتواء الصين دون خوض مواجهة مباشرة.

تم إحياء وتنشيط تحالف QUAD(الحوار الأمني الرباعي) في نوفمبر 2017، والذي يضم الولايات المتحدة، اليابان، أستراليا، والهند. وعُقدت أول قمة لقادته في مارس 2021،

مع التركيز على الأمن البحري، التعاون في مجال التكنولوجيا، ومواجهة التحديات الإقليمية[1]. وفي سبتمبر 2021، أُطلق تحالف AUKUS، وهو تحالف أمني ثلاثي مع أستراليا والمملكة المتحدة، يهدف بشكل أساسي إلى تزويد أستراليا بغواصات تعمل بالطاقة النووية، في خطوة اعتبرتها بكين تهديدًا مباشرًا لاستقرار المنطقة وتقويضًا لنظام عدم الانتشار .[2]

كما وقّعت الولايات المتحدة اتفاقيات عسكرية موسّعة مع اليابان والفلبين أبرزها اتفاق جانفي 2023 الذي سمح لواشنطن بالوصول إلى 4 قواعد إضافية في الفلبين، بالإضافة إلى 5 قواعد سابقة، تقع هذه القواعد في مواقع استراتيجية قريبة من تايوان وبحر الصين الجنوبي، مما يعزز القدرة الأمريكية على الرد السريع في حال أي صراع محتمل.[3]

وعُزّز التعاون الاستخباراتي والعسكري مع كوريا الجنوبية والهند، حيث أجرت الولايات المتحدة مناورات عسكرية مشتركة بشكل متزايد مع هذه الدول.

في المقابل، ردّت الصين بتقوية نفوذها من خلال المنظمات متعددة الأطراف التي تقودها أو تشارك فيها. عملت على تعزيز "منظمة شنغهاي للتعاون" (SCO)، التي تضم دولًا مثل روسيا، الهند، وباكستان و كازاخستان، اوزباكستان .. الخ تهدف لتعزيز الثقة

[1] - The white house .**fact sheet: quad leaders summit** .2021.

[2] - The white house .**fact sheet: President Biden announces AUKUS security partnership**.2021.

[3] - U.S Department of defense**, joint statement on the Philippines-united states fourth 2+2 ministerial dialogue**.

والصداقة وحسن الجوار بين الدول الأعضاء وتشجيع التعاون الفعال بينهم في مجالات السياسة والاقتصاد والتجارة والعلوم والتكنلوجيا وتوسع دورها ليشمل التعاون الأمني.[1]

كما كثفت الصين من التنسيق الاستراتيجي عالي المستوى مع روسيا، خاصة بعد الغزو الروسي لأوكرانيا في فيفري 2022، حيث عزز البلدان من التعاون العسكري والاقتصادي المشترك في مواجهة الضغوط الغربية. فيفري 2022، قبيل الغزو الروسي لأوكرانيا، أعلن الرئيسان **شي جين بينغ وفلاديمير بوتين** عن شراكة "بلا حدود"، مما يؤشر إلى تحالف استراتيجي أوسع [2]. بالإضافة إلى ذلك، توسعت الصين بشكل كبير في مبادرة الحزام والطريق (BRI)، التي موّلت من خلالها مشاريع بنية تحتية ضخمة في أكثر من 60 دولة، أغلبها تقع ضمن نفوذ جيوسياسي أمريكي تقليدي في آسيا الوسطى، أفريقيا، وأمريكا اللاتينية، مما يوسع نفوذها الاقتصادي والسياسي عالميًا بطريقة غير مباشرة.

تُظهر هذه الاستراتيجيات المتقابلة أن كل طرف يسعى إلى إحاطة نفسه بحزام من التحالفات والشراكات يردع الآخر، دون الدخول في مواجهة مباشرة، مما يجعل التوازن خارج المجال نموذجًا واقعيًا لتفاعل استراتيجي "بأطراف متعددة" ينقل جزءًا من عبء الموازنة إلى الدول الإقليمية الحليفة.

[1]- الموقع الرسمي لمنظمة شنغهاي للتعاون .https://eng.sectsco.org.

[2]- **بيان مشترك لروسيا والصين الشعبية بشأن العلاقات الدولية ودخلوها عصرا جديدا والتنمية المستدامة العالمية**، موقع الكريملن الرسمي en.kremlin.ru/supplement/5770.

خاتمة الفصل

تؤكد دراسة التوازن بين الصين والولايات المتحدة خلال الفترة 2017–2025 أن العلاقات بين القوتين تخضع لمعادلة معقدة، تجمع بين الردع العسكري التقليدي (في المجالات التقليدية والفضائية)، التصورات الأمنية والإدراك المتبادل للتهديد (الذي تفاقم بفعل جائحة كوفيد–19)، المصالح الاقتصادية المتشابكة (بما في ذلك التنافس على الموارد وسلاسل الإمداد)، والتحالفات الإقليمية والدولية (بما في ذلك في المحيط الهادئ والمؤسسات الدولية). وقد أظهرت النماذج الأربعة التي تمت دراستها – التوازن الكلاسيكي (سباق التسلح)، توازن التهديد (الإدراك العدائي)، توازن المصلحة (الاعتماد المتبادل)، والتوازن خارج المجال (التحالفات غير المباشرة) – أن نظرية توازن القوى تحتفظ بقدرتها على تفسير الواقع المعاصر إذا ما وُظّفت ضمن نسق متعدد المستويات والأبعاد.

ومع ذلك، فإن التوازن القائم يظل هشًّا، وقابلًا للاختلال في حال تصعيد غير محسوب، خاصة في الملفات الحساسة مثل تايوان، التي تُعدّ نقطة اشتعال محتملة، والذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا المتقدمة، التي تشكل ساحة تنافس حادة على التفوق المستقبلي، والطاقة وسلاسل الإمداد الحيوية، التي تظل مصدر قلق استراتيجي لكلا القوتين، ومن ثمّ فإن استمرار الاستقرار النسبي في شرق آسيا مرهون بإدارة دقيقة لهذا التوازن، لا تقتصر على القوة الصلبة، بل تشمل آليات دبلوماسية واقتصادية وتعاونية طويلة الأمد، تهدف إلى بناء قنوات للتواصل وتجنب سوء التقدير، مما يعزز من فرص التعايش التنافسي بدلاً من

الصدام المفتوح، مع الإقرار بأن التنافس الإيديولوجي على النماذج السياسية قد يضيف طبقة أخرى من التعقيد لهذا التوازن المستقبلي.

الخاتمة

لقد تناولت هذه الدراسة بالتحليل النظري والنقدي أحد المفاهيم الجوهرية في حقل العلاقات الدولية، والمتمثل في "نظرية توازن القوى" بوصفها امتدادًا للرؤية الواقعية تجاه بنية النظام الدولي وسلوك الدول داخله، وقد حاولت الدراسة أن تستوعب مختلق التفرعات النظرية داخل المدرسة الواقعية، من الكلاسيكية إلى الواقعية البنيوية ثم الواقعية الدفاعية والهجومية، بما يعكس الزخم النظري والتنوع التفسيري الذي يميز هذا الحقل.

لقد بينت الدراسة أن توازن القوى ليس مجرد أداة من أدوات السياسة الواقعية، بل هو نمط إدراكي وسلوكي يعكس كيفية تفكير الدول حيال أمنها ومصالحها القومية في ظل نظام دولي "**أناركي**" يفتقر إلى سلطة مركزية عليا، ومن هنا فإن الفرضيات الأساسية للواقعية، مثل: البقاء، المصلحة، القوة، الفوضى، والمساعدة الذاتية، ظلت حاضرة في تفسير سلوك الدول الكبرى كما في الحالات الإقليمية المختلفة.

كما كشفت الدراسة عن أن نظرية توازن القوى عرفت تحولات منهجية وفكرية، إذ لم تبق حبيسة التصور الكلاسيكي الذي يربط التوازن بالتحالفات العسكرية فقط، بل امتدت لتشمل أبعادًا جديدة مثل "توازن التهديد"، "توازن المصلحة"، و"التوازن خارج الإقليم"، ما يعكس قدرة النظرية على التكيف مع تطورات النظام الدولي.

لقد أثبتت هذه الدراسة أن الفوضى الدولية ليست فقط شرطا هيكليا، بل منبعًا دائمًا لتوازنات غير مستقرة، وأن الفواعل الدولية تُعيد دائمًا إنتاج التوازنات بشكل متجدد، بحسب موازين القوى المتغيرة، سواء تعلق الأمر بالقوة العسكرية أو الاقتصادية أو التكنولوجية.

وعلى العموم فإن نظرية توازن القوى، على الرغم من قدمها ومرور النظام الدولي بتحولات عميقة، تظل من بين الأدوات التحليلية الأكثر حيوية لفهم مسارات الصراع، التعاون، التحالف، والردع في العلاقات الدولية، لاسيما في عالم يتجه نحو التعددية القطبية من جديد.

وعلى ضوء الخلاصة السابقة، والدراسة ككل خلصنا الى النتائج التالية:

- لا تزال نظرية توازن القوى محافظة على صلاحيتها التفسيرية: اذ انه رغم ظهور نظريات جديدة في العلاقات الدولية، أثبتت الدراسة أن نظرية توازن القوى قادرة على تفسير الكثير من التفاعلات المعاصرة، خاصة بين القوى الكبرى مثل الولايات المتحدة والصين.
- التطورات داخل المدرسة الواقعية تمثل استجابة للتغيرات الدولية فلم تعد الواقعية تيارًا واحدًا، بل تشكلت فيها اتجاهات فرعية (الكلاسيكية، الدفاعية، الهجومية، البنيوية) حاولت كل منها تقديم قراءة خاصة للتوازن، ما يدل على مرونة النظرية وليس على ضعفها.
- مفهوم التوازن لم يعد محصورًا في القوة العسكرية فقط: برزت أشكال جديدة من التوازن ترتكز على الاقتصاد (توازن تجاري)، والتكنولوجيا (التوازن الرقمي والذكاء الاصطناعي والسيبريانية)، وحتى التوازن الإقليمي، مما أعاد تشكيل مفهوم القوة نفسه داخل النظرية.
- التحالفات لا تزال أداة مركزية لتحقيق التوازن: سواء تعلّق الأمر بحلف الناتو، أو بالتحالفات الإقليمية في آسيا والمحيط الهادئ، أو حتى بالتحالفات المرنة في الشرق الأوسط، فإن الدول ما زالت تلجأ إلى تشكيل تكتلات لموازنة خصومها.
- توازن القوى يتحقق أحيانًا بصورة غير مقصودة (تلقائي): بعض أشكال التوازن تنشأ من ديناميكيات الردع أو التنافس الطبيعي، دون أن يكون هناك تخطيط مسبق من قبل الدول، كما حصل في الحرب الباردة.
- سلوك الدول المتوسطة والصغيرة يتأثر بموازين القوى العالمية: ليست القوى الكبرى فقط من تسعى للتوازن، بل حتى الدول الصغرى توظف استراتيجيات كالتحالف مع قوى عظمى أو الحياد أو الانضمام إلى توازنات إقليمية للحفاظ على بقائها.

- النقد الليبرالي والبنائي ساهم في تجديد الواقعية وليس إسقاطها: عوض أن تؤدي الانتقادات إلى انهيار نظرية توازن القوى، ساهمت في دفع الواقعيين إلى تطوير مفاهيم جديدة مثل "توازن التهديد" و"توازن المصلحة"، ما زاد من ثرائها التفسيري.
- البيئة الفوضوية او "**الاناركية**" للنظام الدولي تجعل من القوة أداة لا غنى عنها: في ظل غياب سلطة عليا تحكم العالم، فإن الدول تجد نفسها مضطرة للاعتماد على أدوات القوة لضمان أمنها، ما يُبقي منطق التوازن حيًا وفعالًا.
- نظرية توازن القوى قادرة على استيعاب التعددية القطبية الصاعدة: مع بروز قوى مثل روسيا، الصين، الهند، والبرازيل، لم تعد الثنائية القطبية أو الأحادية كافية، بل أصبح توازن القوى متعدد الأطراف، وهو ما يجعل النظرية قابلة للتطبيق على واقع دولي متغير باستمرار.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية

1- أبو زيد احمد محمد عبد الهادي ، كيف تتحرك الدول الصغرى: نحو نظرية عامة، مجلة العلوم السياسية، ع 44، 2012 .

2-أنور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة السليمانية، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية 2007 .

3- بيان مشترك لروسيا والصين الشعبية بشأن العلاقات الدولية ودخلوها عصرا جديدا والتنمية المستدامة العالمية، موقع الكريملن الرسمي .en.kremlin.ru/supplement/5770.

4- جوني عاصي النظرية والإيديولوجية في العلاقات الدولية منذ نهاية الحرب الباردة،.

5- جيمس دورتي وروبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ،ترجمة وليد عبد الحي (بيروت المؤسسة الجامعية للنشر 1985.

6- د . إبراهيم أبو خزام ، الحروب وتوازن القوى ،دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام، دار الاهلية للنشر والتوزيع، عمان ،الطبعة الأولى ،1999.

7- إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، 1991.

8-شوقي عرجون، نظرية توازن القوى في العلاقات الدولية: قراءة في التفرعات النظرية، مجلة الباحث للدراسات الاكاديمية، المجلد 08/ العدد 03، جوان 2021.

9- الصين والعالم في العصر الجديد. مكتب الاعلام التابع لمجلس الدولة الصيني .2019-09-27.

10- كريس براون ،فهم العلاقات الدولية ،ترجمة مركز الخليج للأبحاث،الطبعة الأولى، 2004.

11- محمد احمد علي مفتي "العلاقات الدولية في الفكر السياسي الغربي دراسة تحليلية" مجلة كلية التجارة للعلوم البحوث العليمة. المجلد 27، العدد الثاني 1990 .

12- محمد الطاهر عديلة، تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية: دراسة في المنطلقات والاسس، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم السياسية والعلاقات الدولية ،جامعة الحاج لخضر – باتنة،2014-2015م.

13- معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام SIPRIالكتاب السنوي لأبحاث السلام 2024.

14- ملاح السعيد. محاضرات في النظرية السياسية المعاصرة. مقدمة لطلبة الماستر 1 علاقات دولية. 2024. جامعة المسيلة.

15- الموقع الرسمي لحكومة الولايات المتحدة الامريكية
www.cpf.navy.mil/newsroom/news/article/3080530/rimpac-2022-.
officially-starts. تاريخ المشاهدة الجمعة 20 جوان 2025 الساعة 12.34 صباحا.
16- الموقع الرسمي لمنظمة شنغهاي للتعاون .https://eng.sectsco.org.
17- هانز مورغانثو ، السياسة بين الأمم: الصراع من اجل السلطان والسلام
،الجزء الأول ، ترجمة خيري حماد.

المراجع باللغة الإنجليزية

United state office of the secretary of defense، military and security developments involving the people's republic of china 2020.

Congressional research service, china naval modernization: implications for U.S Navy capabilities-background and Issues for congress. April 24, 2025.

Secure world foundation. Global counter space capabilities: an open source assessment, 4-2025.

Secure world foundation. Global counter space capabilities: an open source assessment, 4-2025.

National security strategy of United States of America .December 2017.

National security strategy of United States of America .December 2022.

U.S department of commerce 2019. Entry list actions regarding Huawei technologies co. ltd and its non-U.S. affiliates.

U.S department of commerce bureau of industry and security 2022 .export control regulations related to advanced computing and semiconductor manufacturing equipment.

Congressional research service, foreign holdings of federal debt .May 23, 2025.

Economic and trade agreement between the government of the United States of America and the government of the people's republic of china.

Andrea's Schumacher, china's mature semiconductor overcapacity: does it exist and does it matter? .the center for strategy and international studies (CSIS).

The white house .fact sheet: quad leaders summit .2021.

The white house .fact sheet: President Biden announces AUKUS security partnership.2021.

U.S Department of defense, joint statement on the Philippines-united states fourth 2+2 ministerial dialogue.

الفهرس

Table des matières

مقدمة.....أ

أهمية الموضوع .....ب

مبررات اختيار الموضوع.....ب

إشكالية الدراسة ..... ج

التساؤلات الفرعية ..... ج

فرضيات الدراسة.....د

الإطار النظري للدراسة .....د

مناهج الدراسة..... ه

المنهج التاريخي:..... ه

المنهج المقارن:..... ه

المنهج الوصفي .....و

الحدود الزمانية للدراسة:.....ز

الحدود المكانية للدراسة..... ح

أدبيات الدراسة..... ح

الفصل الأول: تأصيل نظري ومفاهيمي للدراسة 10

المبحث الأول: الفكر الواقعي في العلاقات الدولية..... 10

المطلب الأول الجدور التاريخية 10

المطلب الثاني نشأة الواقعية وتطورها..... 13

المطلب الثالث مفاهيم أساسية في التحليل الواقعي للعلاقات الدولية 22

المبحث الثاني نظرية توازن القوى..... 28

المطلب الأول: مفهوم توازن القوى 28

المطلب الثاني: السياسات التي تحقق توازن القوى 33

المطلب الثالث: اشكال توازع القوى 44

المطلب الرابع: الانقسام النظري الواقعي حول ميزان القوى 46

المطلب الرابع: نقد نظرية توازن القوى 54

الفصل الثالث: التوازن الاستراتيجي بين الصين والولايات المتحدة في ضوء نماذج توازن القوى 2017–2025 58

مقدمة الفصل 58

المبحث الأول: التوازن الكلاسيكي وتوازن التهديد 59

المطلب الأول: التوازن الكلاسيكي (سباق التسلح) 59

المطلب الثاني: توازن التهديد والتصورات العدائية المتبادلة 62

المبحث الثاني: توازن المصلحة والتوازن خارج المجال 66

المطلب الأول: توازن المصلحة كآلية للتهدئة: 66

المطلب الثاني: التوازن خارج المجال وتحالفات الردع غير المباشر 68

خاتمة الفصل 71

الخاتمة 73

قائمة المصادر والمراجع 76

باللغة العربية 76

المراجع باللغة الإنجليزية 78